

الحكم بما أنزل الله فرض عين على كل مسلم

مقالات
سعد الحصين

جمع وترتيب
رداد بن عبدالله الرداد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حفظ حقوق التأليف والطبع قانون وضعي،
وما يتعلق بالشرعية لا يجوز نخبيره ولا احتكاره،
ونشره ابتغاء وجه الله عبادة صالحة.

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

مقدمة

«إن الحمد لله، نحمده، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة» [خطبة الحاجة من صحيح مسلم (ح: ٨٦٧-٨٦٨)].

وقد رغب عدد من الإخوة في الله وفي الدعوة إليه، جمع بعض المقالات التي كتبها - حين ينبعث الداعي لها - نصيحة لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فلم أجد ما يمنع من ذلك، لأنها كتبت - أصلاً - ليقراها الناس فتتحقق إحدى الحسينين: أن تصيب فتذكر وتقبل، أو تخطئ فأنبه إلى الخطأ وأرد عنه، على أنني لست من هواة النشر لذاته ولا لمنفعته الدنيوية - بفضل الله عليّ ومنته - فقد رفضت طلباً من إحدى المطبوعات الدينية لكتابة مقال دوري مدفوع الثمن ورددت ثلاثة شيكات وصلتنى منها ومن مطبوعة أخرى، فلست - ولا أريد أن أكون - كالنائحة المأجورة أو الصحافي المأجور ممن يتكسب باللسان أو القلم.

ولقد أدركت - بعد سنوات من إتمامي دراستي الشرعية في مكة المباركة عام ١٣٧٦هـ، وعملي الإداري في وزارة المعارف بالرياض - أدركت نعمة الله عليّ هذه البلاد وهذه الدولة المباركة بتميز الأولى: باحتضان رسالة الله التامة الخاتمة، وعلى الثانية: بتجديد هذه الرسالة والعودة بها إلى أصلها مجردة من البدع والشبهات والأهواء منذ تعاهد على ذلك الإمامان محمد بن عبد الوهاب ومحمد ابن سعود رحمهما الله.

وأدركت نعمة الله عليّ بالانتماء إلى هذه الرسالة وهذا التجديد وهذه البلاد وهذه الدولة التي أُسِّست من أول يوم على الدعوة إلى منهاج النبوة في الدين والدعوة إليه على بصيرة من نصوص الكتاب والسنة وفقه الأئمة الأوائل في هذه النصوص؛ بنشر الاعتقاد الصالح والعبادة الصالحة، ومحاربة الشرك - بالمقامات والمشاهد والمزارات - وما دون ذلك من الابتداع في الدين.

ورأيت أن من شكري لله على هذه النعم العظيمة ألا أكتفي بمجرد الانتفاع بها، بل أن أضيف إليه ما ييسر لي من المساهمة في حفظ هذه النعم بالتذكير بها وتجديدها بالعودة بها إلى أصلها. ولما كنت أخدم البلاد والدولة مديراً عاماً للتعليم الثانوي بدأت بمحاولة إصلاح هذا التعليم بإزالة الحواجز والقيود المستوردة - التي تعوق عملية التعلم وتناقض فطرة الله لخلقه وقدره عليهم - في أربع مدارس ثانوية بالملكة المباركة سمّيت (المدارس الشاملة)، ومدرسة خامسة (ابتدائية ومتوسطة)، لم يلصق بها اسم يميزها، ومنح الله المدارس الشاملة نجاحاً - لم أتوقعه ولا غيري توقعه - قاد وزارة المعارف إلى النظر في تطويرها ونشرها وانتهت محاولتها بإلغائها، ولا تزال المدرسة الخامسة تنتظر.

وحين وافقت وزارة المعارف على طلبي التفرغ للإشراف على محاولتي في الإصلاح التعليمي، وجدت من الهمة والوقت ما يسّر الله لي به الالتفات إلى الدعوة إلى الله؛ فبدأت بنشر مقالات في مجلة الدعوة (السعودية) كانت متأثرة بالأسلوب الصحفي وأساسه: الإثارة، ومع ذلك وضع الله النفع في عدد منها أكثر مما أستحق وتستحق، وتلقت إلى ساحة الدعوة إلى الله فوجدتها مقطعة الأوصال بين الجماعات والأحزاب الموصوفة بالإسلامية: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، ووجدت

أن (جماعة التبليغ) أقرب الجماعات والأحزاب إلى خُلُق الدعوة الصالحة من تواضع، وترفع عن طلب المنفعة المادية، ومن تضحية بالوقت والجهد والمال، فرافقتها بضع سنين، حتى تبين لي مخالفتها منهاج النبوة في أكثر وأسوأ من ابتداء الخروج ثلاثة أيام في الشهر وأربعين يوماً في العام وأربعة أشهر في العمر، بل في الإعراض عن نشر أفراد الله بالعبادة والإعراض عن التحذير من البدع وأشنعها أو ثان المقامات والمشاهد التي نشأت واستقرت بينها، بل واحتضان قادتها البدع ومن أخطرها: البيعة الصوفية كالجماعات والأحزاب الدينية كلها.

ويوم صدر قرار وزارة المعارف بتطوير (المدارس الشاملة)، تبينت في تفاصيل القرار خروجاً عن منهاج محاولتي الإصلاح وعودة إلى لزوم ما لا يلزم من القيود والنظم المستوردة؛ فبادرت إلى الاستجابة لدعوة كريمة ملحة بانتقالي للعمل في خدمة الدعوة والدعاة بدأها الشيخ عبدالله بن منيع نائب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة وعضو هيئة كبار العلماء، وكررها الوالد الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - المفتي العام ورئيس هيئة كبار العلماء، فاخترت خدمة الدعوة والدعاة في بلاد الشام أكثر من عشرين عاماً.

أما هذه المقالات فتركز الاهتمام على التذكير بمنهاج النبوة في الدين والدعوة والحث على الالتزام به، ونبذ ما ابتدع من المناهج الفكرية وتعدد الجماعات والأحزاب، والتحذير من الانتماء إليها أو الاقتداء بها، مثلاً لتحكيم ما أنزل الله في كل أمر، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

الحكم بما أنزل الله فرض عين على كل مسلم

أكثر الحركات والأحزاب الموصوفة بـ(الإسلامية) في هذا الجيل اتخذت كلمة (الحكم بما أنزل الله) شعاراً لها، ونعم الشعار القولي إذا وافقه العمل؛ فهو بعمومه أصل أصول الدين والغاية التي خلق الله لها الثقلين، وأعظمه: الاعتقاد بوحداية الله في استحقاق العبادة وفق وحي الله تعالى إلى رسله في الكتاب والسنة. قال الله تعالى على لسان يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]، وقال الله تعالى على لسان يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال الله تعالى لخاتم أنبيائه ﷺ: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال ابن كثير في تفسيره ج ٢، ص ٧٥: (أي: فاحكم يا محمد بين الناس عربهم وعجمهم، أميهم وكتابيهم، بما أنزل الله إليك في هذا الكتاب العظيم . . . ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾، أي: آراءهم التي اصطلحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله).

ولكن الحركيين والحزبيين باتباعهم رأيهم وفكرهم الموصوف بالإسلامي ضيقوا المعنى الواسع الشامل للحكم بما أنزل الله فقصروه على فقه المعاملات، وخصّوا به الحكام، تبعاً لفكر الاستاذ/ سيد قطب - رحمه الله - الذي ظن أن «أخصّ خصائص الألوهية هي الربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية» [في ظلال القرآن ج ٤، ص ١٨٥٢]، وقد أتى المفكر والمقلد من قبل جهلهم بالمعنى اللغوي والشرعي للكلمة الطيبة: «لا إله إلا الله»، وبالتالي: خلطهم بين معنى الألوهية ومعنى الربوبية في الاعتقاد والعمل، تجاوز الله عنا وعنهم.

وكما خرجوا عن منهاج الحكم بما أنزل الله في أمر التوحيد؛ خرجوا عن منهاجه في أمر الشرك فوسَّعوه تبعاً لسيّد - رحمه الله - ليشمل أموراً ليست من الشرك في شيء: السياسة والتقاليد والعادات والأزياء التي ظن سيّد - رحمه الله - أن اتباع البشر فيها: (مزاولة للشرك في أخص حقيقته، ومخالفة لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله في أخص حقيقتها. . ولو توجه العبد إلى الله في ألوهيته وحده، ودان لشرع الله في الوضوء والصلاة والصوم وسائر الشعائر) [التفصيل ج ٢، ص ٢١١٤، في ظلال القرآن].

وكعادة البدع أنسى التوحيد والشرك (الحديث) أكثر شباب الأمة التوحيد الذي جاء به كل رسل الله: أفراد الله بالعبادة، والشرك الذي نهى عنه كل رسل الله: تعظيم المقامات والمزارات والأنصاب التي تتخذ مساجد قديماً وحديثاً. والحق الذي هدى إليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؛ أن الحكم بما أنزل الله فريضة عين على كل مسلم حاكماً كان أو محكوماً، «وكلُّ راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته»، كلٌّ بحسبه من المسؤولية الشرعية.

والحق الذي هدى إليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؛ أن الحكم بما أنزل الله شاملٌ لكل ما أوحى الله إلى عبده ورسوله ليبينه للناس وليحكم به بينهم أولاً وقبل كل شيء في الاعتقاد، ثم في العبادات، ثم في المعاملات، لا العكس كما وهَمَ منتجو الفكر الإسلامي ومستهلكوه.

والحق الذي هدى إليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؛ أن أوامر الله تعالى تتفاوت بين فرض العين وفرض الكفاية والنافلة، وأن نواهيته تعالى تتفاوت بين الكبيرة الموبقة - وأعظمها الشرك بالله في عبادته باتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يُدعون فيها مع الله تقريباً إليه واستشفاعاً بهم إليه، تعالى الله عن ذلك

علوًّا كبيراً - وبين الصَّغيرة من اللَّمَمِ ، وأن من الحكم بغير ما أنزل الله المساواة بين الفرض والنافلة في الأمر ، وبين الكبيرة والصغيرة في النهي ، بل إن من الحكم بغير ما أنزل الله تفريق الأمة في الدين أحزاباً وجماعات على مناهج في الدين أو الدعوة تخالف منهاج النبوة الذي شرعه الله لجميع من أرسلهم إليهم ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ، وهو ما يقع فيه الحركيون والحزبيون هداًنا الله وإياهم لأقرب من هذا رشداً .

وصلّى الله وسلّم على عبد الله ورسوله وعلى من اتبع سنّته .



الولاء والبراء الشرعي والحركي

(١)

في هذا العصر الذي احتل فيه الفكر الموصوف بالإسلامي مكان الوحي والفقهاء في الدين، واحتل المفكرون الموصوفون بالإسلاميين مكان علماء الشريعة ودعاتها؛ ترتفع راية للولاء المنحرف للحزب والفكر وقادته، والبراء المنحرف من أهل الدعوة إلى التوحيد والسنة وولادة أمورهم.

وأكثر ما تنشر هذه الراية العمياء عندما يُفحم أحد قادة الحركيين أو أفرادهم بالنصوص من الوحي والفقهاء فيه الدالة على أولوية الدعوة إلى التوحيد والسنة ومحاربة الشرك والبدعة في كل مكان وزمان - الأمر الذي تجهله أو تتجاهله جميع الأحزاب والجماعات الموصوفة بالإسلامية - فيتشبث كالغريق بسؤال لا يتغير ولا يتبدل: (وأين الولاء والبراء)؟ بمعنى يحتوي على مقدمة صحيحة وهي: أن الولاء والبراء جزء من الإيمان، ونتيجة فاسدة هي: أن شغل منابر الدعوة وأفئدة الغوغاء بالتحليلات السياسية الظنية عن تعلّم الدين الحق وتعليمه والدعوة إليه، والفتنة بين الرعاة والرعية، واغتياب ولادة الأمر من العلماء والأمراء؛ هو من المنهج الشرعي للدعوة، بل من أسس الاعتقاد الصحيح، ومن الولاء والبراء الشرعي.

والولاء في كتاب الله وسنة رسوله وفقه أئمة الدين في القرون المفضلة هو لله ولرسوله وللمؤمنين - المتبعين لا المبتدعين - ولا ينافيه التعامل مع غير المؤمنين المتبعين بالعدل والإحسان بل هي سنة النبي ﷺ مع الجميع في التجارة والزراعة والإجارة ونحوها.

والبراء في كتاب الله وسنة رسوله وفقه أئمة الدين في القرون المفضلة ، براءة من أعمال الشرك والابتداع في الدين ولو انتسب أهلها إلى الإسلام ، ولا يجيز ذلك ظلمهم والاعتداء عليهم بما يسميه الجهلة جهاداً في سبيل الله « والله أعلم بمن يجاهد في سبيله » ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٠] لا المسافرين الآمنين في الطائرات والحافلات ولا المشاة الآمنين في الطرقات ولا الموظفين الآمنين في المكاتب : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠] .

ومن أوضح الأمثلة على الولاء والبراء الحركي المنحرف عن شرع الله : عددمن المثقفين (الإسلاميين) الجهلة بشريعة الله يَهْجُرُونَ جماعة المسلمين في بلادهم ومنها أرض الشام المباركة (بل في أرض الحرمين التي ميّزها الله مِنْ قَبْلُ ومن بعد بجمع أهلها على الكتاب والسنة ، وهدم أوثان الأحرار والأشجار والمزارات والمشاهد ، وإزالة منكرات البدع من المساجد ، ومظاهر الانحراف في الاعتقاد والعبادة والمعاملة) ، ويهاجرون (كأنما نفتهم الأرض الطيبة المقدسة كما تنفي النار خبث الحديد ، أو كما تنفي مكة والمدينة في فتنة الدجال المفتونين من سكانها) إلى بلاد وجماعات يصفونها - هم - بأنهم صليبيون وعلمانيون وكفار لا يُؤْمَنُ مكرهم ، وإلى بلاد وجماعات انحرفت وضلّت منذ قرون عن الاعتقاد الصحيح والسنة الصحيحة وعن منهاج النبوة جملة وتفصيلاً .

ويبقى المخلفون منهم - كما يقضى التكتيك الحركي - يأكلون خير البلاد الطيبة ، ويكفرون نعمة الله بها عليهم ، ويُرجفون بالإشاعات ، وينشرون الباطل من القول والفكر ، ويحاولون إثارة الفتنة بين المسلمين وبين من ولاهم الله أمرهم ، ولا قضية لهم إلا المال وعدم المساواة فيه ، يصدق عليهم قول الله تعالى :

﴿فَإِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]، ولا شبهة لهم إلا تعامل ولاية الأمر في بلادهم مع غير المسلمين؛ يأمر الناس بالبر وينسون أنفسهم، وينهون عن منكرهم أول من يقع فيه؛ وكأنما يبيعون غيرهم البر، ويبيعون أنفسهم الإثم والعدوان لا بالتعامل بل باللجوء والولاء .
ويحذر الله عباده من الولوغ في الفتنة: ﴿يَغْوِنَكُمْ الْفِتْنَةُ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] .

ويحذر الله عباده تصديق الخبر قبل ثبوته: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] .
ويحذر الله عباده قبول أو نقل قالة السوء: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢]، ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦] .

ويحذر الله عباده من الإذاعة أو العمل بأخبار الأمن والخوف قبل ردها إلى ولاية الأمر من العلماء والأمراء: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] .

فهل من سامع؟ نرجو الله أن يردهم إلى دينه رداً جميلاً، وأن يلتزم الجميع بأمر الله فيما يقولون وما يعملون، وبالسياسة الشرعية في الدعوة إلى الله، وبالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، ولعل الله أن يهدي الجميع لأقرب من هذا رشداً.

الولاء والبراء الشرعي والحركي

(٢)

الولاء؛ لله ولرسوله وللمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

والبراء؛ من أعداء الله ورسوله وشرعه، وهم الكافرون والمشركون بالله في عبادته مهما كان انتمائهم وشعارهم.

فمناط الولاء: الجمع بين صحة المعتقد - بإفراد الله بالعبادة -، وصلاح العمل - باتباع السنة -، وفي هذا جماع الخير كله، وقد مدح الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في أكثر من خمسين آية، وفي معناها ما يصعب حصره.

ومناط البراء: الشرك في الاعتقاد - بدعاء غير الله معه تقرباً إليه -، والابتداع في العمل - بعبادة الله على نحو لم يأذن به الله -، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وسبب الجهل بهذه الحقيقة الناصعة في حاضرتنا: أن جميع الحركات الفكرية - الموصوفة بالإسلامية - نشأت في بلاد يحتلها ويحكمها غير المسلمين من يهود أو نصارى أو وثنيين أو ملحدين؛ فانحرفت عقيدة الولاء والبراء إلى مسار ضيق بحصرها في فئة واحدة من البشر، هم الحكام.

وسوّّل الشيطان لدعاة الفكر المحدثين أن (التكتيك المرحلي) يقتضي التركيز على معاداة الحاكم والسكوت عن أخطاء الرعية: الشرك فما دونه، بحجة أن

أولئك كفار، وهؤلاء مسلمون - يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله -، وما خالف العقيدة والسنة في أقوالهم أو أفعالهم فهو ناتج عن جهل يسهل تغييره ووراءه إيمان عميق تغطيه العادات والتقاليد، والمرحلة الحاضرة تستدعي جمع الصفوف وراء فكرة واحدة يتفق عليها الجميع: إجلاء المحتل الكافر من ديار المسلمين.

ولما خرجت جيوش الاحتلال من البلاد المسلمة والكافرة بانتهاء دور الاحتلال العسكري الأجنبي، وجدت الحركات الفكرية على اختلاف شعاراتها أن ليس في صالحها تغيير الهدف - الهدف الذي جمع الناس حولها - فحوّلت العداء إلى الحاكم المسلم، ولو أنه يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

أما الولاء فقد حصره كل حزب إسلامي في نطاق: قاداته وأتباعه والموالين له. ومن باب أولى بقي كذلك.

ولو كان (الحزبيون الإسلاميون) يحكّمون ما أنزل الله - شعارهم الحركي - لعرفوا من الآيات المحكمة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ الصحيحة الصريحة:

١- أن عقيدة الولاء والبراء في شريعة الله منافية للتعصب الفردي أو الحزبي أو القبلي أو الجغرافي، قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ [الفتح: ٢٦]. وأنها - ككل عبادة أخرى - لا بد أن تتصف بالإخلاص لله وحده والطاعة لله ولرسوله، لا تشوبها أي شائبة من الهوى وقصد الدنيا، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

٢- أن الله تعالى أمر بطاعة ولي الأمر المسلم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. وبيئت السنة أن طاعة ولي الأمر المسلم فرض عين لا يسقطه ظلمه أو جوره أو فسوقه أو فجوره؛ فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها»، والأثرة: الاستئثار بالأموال والمتاع الدنيوي، والأمور المنكرة: هي في الدين، قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: «تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم».

وروى مسلم في صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدي ولا يستنون بسنتي»، قلت: كيف أصنع إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك». وروى البخاري ومسلم في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات؛ فميتة جاهلية».

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية» فكيف بمن يخرج عن طاعة أميره المسلم، ويفارق جماعة المسلمين، ويهاجر من ديار الإسلام إلى ديار الكفر في هذا السبيل؟

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون - أو يمتنون - الصلاة عن وقتها؟» قلت: فما تأمرني؟ قال: «صل الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصل فإنها لك نافلة»؛ لم يأذن رسول الله ﷺ لخيار الأمة - فضلاً عن سفهائها - بإظهار مخالفة ولي الأمر المسلم حتى لو أخر صلاة الجماعة عن وقتها، ومعلوم أن الصلاة إذا أخرت عن وقتها

عمداً بطلت .

٣- أن الاستثناء الوحيد من عموم الأمر بطاعة ولادة الأمر : تنفيذ الأمر بمعصية الله ، كما ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية ؛ فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» . ومع ذلك لا يجوز له الخروج عن الطاعة مطلقاً فيما ليس فيه معصية ، كما قال الله تعالى في طاعة الوالدين : ﴿وَأِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان : ١٥] ، وكما نهى الله المؤمنين عن اتباع سبيل الكافرين ، وأباح التعامل معهم ، وأمر بالعدل فيهم ، والإحسان في مجادلتهم ، ونهى عن الاعتداء عليهم .

ومع ظهور المعاصي في بلاد المسلمين : الشرك فما دونه ؛ لم يؤمر أحدٌ باقترافها .

٤- أن تفريق جماعة المسلمين إلى فرق وأحزاب وجماعات وطوائف - بحجة توحيد الصف والكلمة ، وتحكيم ما أنزل الله - أمر يخالف الشرع المبين والعقل المستقيم ؛ فالتفرق منافي للتجمع والاتحاد ، وقد نهى الله عنه في محكم كتابه ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَلَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام : ١٥٩] ، وكل منتم إلى جماعة خاصة أو حزب أو طريقة أو فرقة - وإن وصفت زوراً بالإسلامية - فهو متشيع لها ولأميرها ومنهاجها منعزل بذلك عن جماعة المسلمين . وليس التشيع المنكر خاصاً بالأخذ عن آل البيت وحدهم ؛ بل هم خير من يُشيع لهم لو كان التشيع لبشر - غير معصوم - شرعاً .

٥- أن الدعوة إلى الله على بصيرة - كما شرعها الله لرسله ولأتباعهم من

بعدهم - عامة لجميع أهل الأرض : رعاة ورعية ، شباباً وشيوخاً ، ذكوراً وإناثاً ، مسلمين وكافرين ؛ يدعون - أولاً وقبل كل شيء وعلى كل حال - إلى إفراد الله بالعبادة ، والتحذير من الشرك وأهله وذرائعه ، ثم إلى العبادات العملية والمعاملات والأخلاق الشرعية ، ويذكرون بآلاء الله ، ويرغبون في رضاه وثوابه ويخوفون غضبه وعقابه .

ومن يعرف واقع المتمين إلى الإسلام اليوم ويتحرى العدل ؛ يعترف بأن أكثر الرعايا أسوأ من أكثر الرعاة في الشرك والمعاصي وتحكيم قوانين البشر وأهوائهم .
وصلّى الله وسلّم وبارك على محمد وآله وصحبه ومتبعي سنته .



الدعوة إلى الله بالموعظة اليقينية لا بالقصص الظني^١

أنزل الله كل كتبه وأرسل كل رسله وشرع كل شرائع دينه موعظة لخلقه ؛ قال الله تعالى عن رسوله موسى وكتابه التوراة : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْبُوتِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الاعراف: ١٤٥] ، وقال الله تعالى عن رسوله عيسى وكتابه الإنجيل : ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٤٦] ، وقال تعالى عن خاتم رسله وكتابه القرآن : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣١] ، بعد ذكر أحكام الطلاق في سورة البقرة . قال أكثر المفسرين الأوائل القدوة : الحكمة هي السنة ، وقال بعضهم : الحكمة الدين ، وقال آخرون : الحكمة الشرع ، والمعنى واحد .

وقال تعالى في بيان كفارة الظهار : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكُمْ تَوْعَظُونَ بِهِ ﴾ [المجادلة: ٣] ، وقال تعالى عن قول الإفك : ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ١٧] ، وقال تعالى عن كل أمره ونهيهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] ، وقال الله تعالى عن موعظة لقمان لابنه : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] ، ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧] .

وكان الأمر بإفراقة الله بعبادة والنهي عن الشرك بالله في عبادته أول ما دعا إليه رسل الله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليهم أجمعين - في مواظبتهم لأقوامهم استجابة لأمر الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ

وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿النحل: ٣٦﴾، ثم التزام ما أمر الله به من حقوق التوحيد، واجتناب ما نهى الله عنه مما هو دون الشرك، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وعلى هذه السنة ثبت فقهاء القرون المفضلة، لا يرون الموعظة إلا الدعوة إلى الله على بصيرة من الكتاب والسنة؛ تذكيراً بالله، وحثاً على فعل ما أمر به، ونهياً عما نهى عنه، وتعليماً لأحكام شريعته في الاعتقاد أولاً ثم العبادات ثم المعاملات.

ثم خلفت من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون؛ وبخاصة بعد أن ذرّ قرن الفكر - الموصوف زوراً بالإسلامي - بعودة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده من باريس، ودعوتهما إلى (تحرير الفكر من قيد التقليد)، وكانت بداية الانحراف - في هذا العصر - عن الوحي والفقه فيه إلى الفكر والظن والعاطفة، وهان على كثير من المسلمين - مهما كان مبلغهم من العلم وجوداً أو عدماً - القول على الله والحكم على شرعه حسب فكرهم واقتناعهم أي: حسب هواهم، وقد حذر الله عباده من سوء هذا المنقلب فقال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣].

وتبعاً لذلك تحول أكثر مشاهير شباب الدعاة عن منهج النبوة في الدعوة إلى الله من الموعظة الحسنة بآيات الكتاب المبين والصحيح من سنة الرسول الكريم كما فهمها سلف الأمة المعتد بهم لتثبيت الاعتقاد، وتعليم أحكام الإسلام، وتحييب الخالق إلى خلقه، وترغيبهم في ثوابه وترهيبهم من عقابه؛ إلى ما أتجه الفكر غير المعصوم من تلاعب بالألفاظ وتحليلات ظنية لأخبار ظنية عن الحوادث والطوارئ السابقة واللاحقة، وتحولت الدعوة إلى الله من موعظة شرعية للفرد أو

للجماعة إلى محاضرات وندوات ولقاءات ومهرجانات يختلط فيها الحق بالباطل، والآية المحكمة والمتشابهة والحديث الصحيح والضعيف والموضوع بالقصص والشعر والأمثال والفكاهة وفنون اللغة الدارجة، يغلب عليها الاهتمام بالأدنى دون الأعلى وبالمهم - أو غير المهم - دون الأهم.

ولأن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، ولأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ولأن الأهواء تتجاري بالعواطف كما يتجاري الكلب بصاحبه، ولأن أكثر الناس لا يؤمنون ولا يشكرون ولا يعلمون ولا يفقهون كما بين الخالق المعبود سبحانه وبحمده، فإن أكثر المسلمين - بعد أن غير الدعاة القصاص فطرتهم - صاروا يُقبلون عليهم وينفرون من الدعوة على منهاج النبوة؛ فازداد عدد القصاص ونقص عدد الواعظين؛ مما يذكر بقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] على الرأيين في مرجع الضمير من قوله: ﴿فَزَادُوهُمْ﴾، فالجناية: على الدعوة، والجاني: القاص والمعجبون به معاً، وقد بدأ الانحراف من الوعظ إلى القصص مبكراً، ولكن فقهاء الصحابة رضي الله عنهم ومن تبع منهاجهم وقفوا له بالمرصاد وبينوا ضلاله ونهوا عنه؛ تجد ذلك مفصلاً في:

- ١- كتاب القصاص والمذكرين، لابن الجوزي - ت ٥٩٧ - رحمه الله .
- ٢- عدد من مؤلفات ابن تيمية - ت ٧٢٨ - رحمه الله، تصدى للقصاص فيها .
- ٣- كتاب الباعث على الخلاص من حوادث القصاص، للحافظ العراقي - ت ٨٠٦ - رحمه الله .
- ٤- كتاب تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، للسيوطي (ت ٩١١) رحمه الله تعالى .

وإليك طَرفاً مما تضمنته هذه المؤلفات تعريفاً بالقُصَّاص وتحذيراً منهم وردّاً إلى الله . قال محقق (تحذير الخواص) الشيخ محمد بن لطف الصَّبَّاح: القصص في الاستعمال فنّ مخاطبة العامة بالاعتماد على القصة . . وقد أشار ابن الجوزي إلى هذا فقال : (فالقاص هو الذي يُتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها)، قلت : وشرُّ منها الحكايات الجديدة والإشاعات ، وأخبار وسائل الإعلام ، والنشيد والتمثيل والفكاهة .

وروى ابن ماجه بسند حسن عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : (لم يكن القصص في زمن رسول الله ﷺ ولا زمن أبي بكر ولا زمن عمر)، ورواه أحمد والطبراني عن السائب بن يزيد بنحوه . وفي رواية عن ابن عمر : (إنما كان القصص حيث كانت الفتنة) .

وروى الطبراني بسند جيد عن عمرو بن دينار أن تميماً الدَّارِيّ استأذن عمر في القصص فأبى أن يأذن له - مرتين - ، وفي الثالثة قال له : (إن شئت) وأشار أنه الذبح . وروى الطبراني عن خباب بن الارت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «إن بني إسرائيل لما هلكوا قصّوا» .

وروى الطبراني عن عمرو بن زرارة قال : وقف عليّ عبدالله بن مسعود وأنا أقصّ فقال : (يا عمرو ، لقد ابتدعت بدعة ضلالة ، أو أنك أهدي من محمد ﷺ وأصحابه!) . قال عمرو : فلقد رأيتهم تفرّقوا عني حتى رأيت مكاني ما فيه أحد .

وأخرج عبد بن حميد في تفسيره عن قيس بن سعد قال : جاء ابن عباس حتى قام على عبيد بن عمير وهو يقصّ ، فقال له : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [مريم: ٤١] ، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ [مريم: ٥٤] ، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ [مريم: ٥٦] ذكّر بأيام الله ، وأثنى على من أثنى الله عليه .

وأخرج ابن أبي شيبة عن جرير بن حازم عن محمد بن سيرين قوله :
(القصص أمر محدث أحدثه هذا الخلق من الخوارج) .

وأخرج أحمد في (الزهد) عن أبي المليح قال : ذكر ميمون القُصَّاص فقال :
(لا يخطئ القاص إحدئ ثلاث : إما أن يُسمن قوله بما يُهزل دينه ، وإما أن يُعجب
بنفسه ، وإما أن يأمر بما لا يفعل) .

وقال ابن الحاج في (المدخل) : (مجلس العلم : الذي يُذكر فيه الحلال والحرام
واتباع السلف رضي الله عنهم ، لا مجالس القصاص فإن ذلك بدعة ، وقد سئل
مالك رحمه الله تعالى عن الجلوس إلى القصاص ، فقال : ما أرى أن يُجلس إليهم
وإن القصص لبدعة) .

وروي عن يحيى بن يحيى (عالم الأندلس في عصره) : (سمعت مالكا يكره
القصص فقل له : يا أبا عبدالله ، فإن تكره مثل هذا فعلام كان يجتمع من مضى؟
قال : على الفقه) .

وفي تاريخ ابن جرير في حوادث سنة ٢٧٩ : (نودي في بغداد : ألا يقعد
على الطريق ولا في مسجد الجامع قاص ولا صاحب نجوم ولا زاجر . وفي سنة
٢٨٤ نودي في المسجد الجامع : يُنهى الناس عن الاجتماع إلى قاص ، ويُمنع
القُصَّاص من القعود) .

وختم الحافظ العراقي كتابه (الباعث على الخلاص من حوادث القصاص)
بقوله : (فيجب على ولاة أمور المسلمين منع هؤلاء من الكلام مع الناس) .

وذكر الحافظ ابن الجوزي في أول كتاب (القُصَّاص والمذكَّرين) من أسباب
كراهية السلف القصص :

- ١- أنهم إذا رأوا ما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ أنكروه .
 - ٢- أن القصص لأخبار المتقدمين يندر صحته .
 - ٣- أنه يشغل عما هو أهم منه من تدبر القرآن ورواية الحديث والتفقه في الدين .
 - ٤- أن في القرآن والسنة من العظة ما يغني عن غيره مما لا يتيقن صحته .
 - ٥- أن عموم القصاص لا يتحرون الصواب .
 - ٦- اغترار العوام [وأشباههم من المثقفين والمفكرين والحركيين] بما يسمعون من القصاص ؛ فلا ينكرون ما يقولون ، ويخرجون من عندهم فيقولون : قال العالم ؛ فالعالم عند العوام من صعد المنبر .
 - ٧- أن القصاص يأخذون الحديث شبراً [بلا تمحيص] فيجعلونه ذراعاً .
- قال محقق (تحذير الخواص) الشيخ د . محمد بن لطف الصباغ أثابه الله في مقدمته : (يتمثل تأثير القصاص السيء على العامة في أن حقيقة الإسلام قد شوّحت في أذهانهم فاعتقدوا البدعة سنة والسنة بدعة ، وأصبحت الأكاذيب عندهم ممزوجة بنصوص الدين الثابتة . . . فكان العوام ودعاة الابتداع أبداً معارضين لكل مصلح صادق من الدعاة والعلماء . . . وأثر فريق من العلماء المسالمة فسكتوا خوفاً من القصاص وسلطانهم - على العامة - وإثارة للعافية . . . وترى القصاص - رغبة في قبول السامعين لهم - يسارعون في ابتغاء مرضاة العامة أكثر من حرصهم على تقويمهم وتعليمهم ، وأضحى القاص كالمغني [والممثل والمهرج] لا همّ له إلا إطراب السامعين . إن هؤلاء القصاص قوم مهمتهم الكلام ، وغايتهم أن يستحذوا على إعجاب السامعين) .

والواقع أن دعاة القصص والشعر والفكاهة والتهريج والتهيج - وهم أشهر وأكثر الدعاة اليوم عفا الله عنا وعنهم - حولوا الموعظة بل وخطبة الجمعة المفروضة إلى ما يشبه برامج - ما يطلبه المستمعون - في الإذاعات العربية ؛ لرغبة الأغلب في الهزل ورغبتهم عن الجدّ، فقدّم القصاص لعامة الناس ما يرضيهم - لا ما ينفعهم مما شرّعت الموعظة لتحقيقه - في مقابل شهرتهم وإذاعة صيتهم والإقبال على مجالسهم، مما يذكر بقول الله تعالى عن الضالين والمضلين من الإنس والجن: ﴿رَبَّنَا اسْتَمِعْ بَعْضُنَا يَبْعُضُ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، جنبنا الله وإياهم مصيرهم، وردّنا وردّهم إلى منهاج النبوة - في الدين والدعوة - رداً جميلاً.

وصلّى الله وسلم وبارك على عبده وخاتم رسله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته.



الدعوة إلى الله بين اليسر والعسر

في لقاء صحفي^(١) مع أحد مشاهير الدعاة - الموصوفين بالإسلاميين - طُلب منه بيان شروط الدعوة إلى الله التي يجب تحقيقها في الداعي إليه . وتأثراً بالخلق الصحفي من جانب ، وبالفكر - الموصوف بالإسلامي - من جانب آخر ، لجأ إلى المبالغة والتعسير والتشديد ، مخالفاً شرع الله لدينه وعباده الصالحين - وخيرهم الدعاة إليه على منهاج النبوة - قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ [القمر: ١٧] في وصف أعظم مصادر شرعه ، وقال تعالى عن هديه لعباده : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، وقال رسول الله ﷺ : «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» [متفق عليه] .

ولأن الدعوة إلى الله عبادة لا يجوز الحكم فيها بغير شرع الله في كتابه وسنة رسوله وفقه الأئمة الأول ؛ رأيت وجوب التنبيه على بعض أخطائه في اللغة والأحكام ، والتفريق بين الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبين الفكر البشري مظنة الخطأ :

١- لم يوصف الداعي إلى الله في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في كلام أئمة العلم في القرون المفضلة بأنه (داعية) ، وإنما انتشر هذا الوصف في الأجيال المتأخرة عندما اغتصب العلم والدعوة من لم يؤهل لأي منهما ؛ قال الله تعالى في وصف أعظم الدعاة إليه : ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجَا مُنِيرَا ﴾ [الاحزاب: ٤٦] ، وتصحيح اللغة من واجبات المسلم إذا تعلق الأمر بشرع الله ، فقد نهى النبي ﷺ عن تسمية العنب كرمًا [متفق عليه] ، ونهى عن قول : (ما شاء الله وشئت) ، كما

(١) في المجلة العربية مع الشيخ / مناع قطان رحمه الله .

صحّ من رواية أبي داود، وردّ على خطيب القوم قوله: (ومن يعصهما فقد غوى) [رواه مسلم]. ولو قدر العرب لغتهم حق قدرها لعادوا بها إلى أصلها في الكتاب والسنة.

٢- لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في كلام أهل العلم في القرون المفضلة وصف الداعي ولا الدعوة ولا العلم ولا العمل الشرعي بأنه (إسلامي) أو أنها (إسلامية) حتى جاء أهل الفكر في هذا العصر المتخلف - بقلة علمهم وضعف اتباعهم - فاخترعوا هذه الأوصاف لتستر نقصهم في العلم والعمل، بل لتتخذ وسيلة لتسويق الفكر والتجارة والتحزب - أي التفرق في الدين - باسم (الإسلام) افتراء عليه.

٣- اشترط داعي الفكر على الداعي إلى الله: (الفهم الشامل للإسلام في أصوله ومصادره ومقاصده)، واستدل على ذلك بقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] مفسراً البصيرة - خلافاً لأئمة التفسير - بأنها: (شيء فوق العلم والمعرفة)، ولو أخذ الدعاة برأيه هذا لتوقفت الدعوة إلى الأبد؛ فمن ذا الذي يحيط بالعلم والمعرفة الشرعية فضلاً عما فوق ذلك لو جاز للمسلم أن يدعيه؟ وما هو مقياس ما فوق العلم والمعرفة لو وجد؟

٤- أضاف شرطاً تعجيزياً آخر لا يمكن قياسه: (فهم روح الدين). ووصف الدين بـ(الروحانيات) أجنبى عن الإسلام وترجمة حرفية لوصف أعجمي لدين باطل. وتقسيم الدين إلى روح وحسّ أو مظهر أو مادة اختراع آخر في هذا العصر من وسوسة الشيطان للبعد عن الوحي والركون إلى الفكر مثل تقسيمه قبل هذا العصر إلى حقيقة وطريقة.

٥- أما أئمة التفسير فقد عرفوا البصيرة في الآية الكريمة بأنها الحجة والعلم

والبرهان واليقين، وكلها أمور يمكن قياسها ووزنها بميزان الوحي من كتاب الله وسنة رسوله وفقه أئمة الهدى في دين الله .

٦- واشترط (المفكر) على الداعي إلى الله أن يكون (محيطاً بأحوال من يخاطبهم على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والنفسية وما يكون لديهم من مشكلات وآلام) ولا أحسبني في حاجة إلى تأكيد استحالة تحقيق ذلك، ولو فرض أن أحد الدعاة أحاط بما يسمى علم الاجتماع وعلم النفس وبالطب على اختلاف فروعه فسينقصه علم الغيب وهو الله وحده .

٧- واشترط (المفكر) على الداعي إلى الله : (أن يكون على معرفة كاملة بمتغيرات العصر، فلا يخاطب العصر الذي يعيش فيه بأحوال ومشكلات عصر سابق)، ومع استحالة القياس الثابت للمعرفة الكاملة، فإن هذا الشرط يناقض سنة الله تعالى في إرسال خير الدعاة وقودتهم : الرسل، ويناقض سنة رسول الله ﷺ في منهاج الدعوة وتوجيه الدعاة . قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل : ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة : ٥] .

وبين الله عز وجل في أكثر من سورة أن كل رسول قال لقومه : ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف : ٥٩] بالنص أو بالمعنى، على اختلاف الزمان والمكان والحال، وبدأ رسول الله ﷺ رسالته وأنهاها بأمر الله، وبعث دعائه بالتحذير من أوثان وأصنام القبور والمقبرين واتخاذها مساجد، وهي أكبر كبيرة وموبقة ومعصية يواجهها الدعاة منذ نوح عليه السلام حتى اليوم . وثبت في صحيح مسلم من حديث أم هشام بنت حارثة رضي الله عنها، قولها : (ما أخذت ﴿قَالَ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ إلا من في رسول الله ﷺ، كان يقرؤها كل جمعة على المنبر

إذا خطب الناس)، رغم تغير الأحوال وكثرة الأحداث والطوارئ.

ومن تتبع خطب النبي ﷺ الثابتة عنه، وخطب خلفائه وأصحابه وتابعيه وفقهاء الأمة في القرون المفضلة وجد أنها لا تُعنى بالطوارئ والأحداث والتحليلات السياسية و(متغيرات العصر)، لأن شرع الله - وخطبة الجمعة منه - لا يتغير بتغير الزمان والمكان والحال، ولا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، وأهم ما يهم المسلم في أي عصر: الاستعداد للموت وما بعده، وهو مضمون سورة ﴿ق﴾، وإعداد المسلم لهذا المستقبل المؤكد يكون - في الدعوة إلى الله على بصيرة - ببيان التوحيد ونقيضه الشرك، ثم ببيان أحكام الشريعة والموعظة عامة، وخطبة الجمعة عبادة توقيفية مثل كل عبادة، وهي قدوة الدعوة وأعلى درجاتها.

٨. وفرّق (المفكر) بين الخطبة والمحاضرة، وأكد العناية بالعواطف والمشاعر بكلام صادر عن الفكر لا عن الشرع، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]، ومن الهدى عرفنا العلم الشرعي والخطبة الشرعية وحلقة الذكر، ومن الظن والهوى جاءت المحاضرة وحديث العواطف والمشاعر ومتغيرات العصر والفتنة بالتحليلات السياسية.

هدى الله الجميع، وردّهم ردّاً جميلاً إلى كتابه وسنة رسوله وفقه شريعته، وأعادهم من نزغات الشيطان ونفثه. وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين.



حكم تعدد الجماعات والأحزاب في الإسلام

الدعوة إلى الله عبادة، والعبادة لا تصح إلا وفق شرع الله وسنة نبيه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [نصرت: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

هذا تقرير واضح محكم من الله العليم الحكيم أن الدعوة إلى الله من خير الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله، وأن لها سبيلاً واحداً هو سبيل محمد ﷺ، ولكن السبل تفرقت بأكثرتنا عن سبيل الله في دينه ومنه الدعوة إليه. فما حكم تعدد الجماعات والأحزاب في الإسلام، وبالتالي تعدد مناهجها في الدين والدعوة؟

١- توجد إجابة واضحة صريحة في فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ / عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وعضوية نائبه في الإفتاء الشيخ / عبدالرزاق عفيفي (وهو كاتب أصل الفتوى بخط يده)، والشيخ عبدالله ابن غديان، والشيخ عبدالله بن حسن بن قعود، برقم ١٦٧٤ في ٧/ ١٠/ ١٣٩٧، وما ورد في هذه الفتوى: (لا يجوز أن يتفرق المسلمون في دينهم شيعاً وأحزاباً... فإن هذا التفرق مما نهى الله عنه وذم من أحدثه أو تابع أهله، وتوعد فاعليه بالعذاب العظيم، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ إلى

قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٣، ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

أما إن كان ولي أمر المسلمين هو الذي نظمهم ووزع بينهم أعمال الحياة الدينية والدنيوية فهذا مشروع (انتهى النقل).

٢- وفي مجموع فتاوى الشيخ / عبدالعزيز بن باز ج ٥ ص ٢٠٢ - ٢٠٤ فتوى مماثلة تجيب بوضوح وصراحة عن هذا السؤال، وفيها: (إن نبينا محمداً ﷺ بين لنا درباً واحداً يجب على المسلمين أن يسلكوه وهو صراط الله المستقيم ومنهج دينه القويم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] . . فالواجب على المسلم توضيح الحقيقة، ومناقشة كل جماعة، ونصح الجميع بأن يسيروا في الخط الذي رسمه الله لعباده ودعا إليه نبينا محمداً ﷺ، ومن تجاوز هذا أو استمر في عناده فإن الواجب التشهير به والتحذير منه ممن عرف الحقيقة؛ حتى يتجنب الناس طريقهم، وحتى لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم فيضلوه ويصرفوه عن الطريق المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ومما لا شك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في البلد المسلم مما يحرص عليه الشيطان أولاً، وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً (انتهى النقل).

٣- وفي فتاوى الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني ، جمع عكاشة بن عبد المنان الطيبي ، ص ١٠٦ فتوى مماثلة ، وفيها : (لا يخفى على كل مسلم عارف بالكتاب والسنة وما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم أن التحزب والتكتل في جماعات مختلفة المناهج والأساليب ليس من الإسلام في شيء ، بل ذلك مما نهى عنه ربنا عز وجل في أكثر من آية في القرآن الكريم) انتهى النقل .

٤- وللشيخ / محمد بن صالح بن عثيمين فتوى مماثلة منشورة في كتاب (الصحة الإسلامية . . ضوابط وتوجيهات) إعداد علي بن حسين أبو لوز ، ص ١٥٤ ، وفيها : (ليس في الكتاب ولا في السنة ما يبيح تعدد الجماعات والأحزاب ، بل إن في الكتاب والسنة ذمًا لذلك ، قال الله تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٣] ، ولا شك أن هذه الأحزاب تنافي ما أمر الله به ، بل ما حث الله عليه في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] . انتهى النقل .

٥- وللشيخ / صالح بن فوزان الفوزان من هيئة كبار العلماء فتوى مماثلة ، وفيها : (التفرق ليس من الدين ، لأن الدين أمرنا بالاجتماع وأن نكون جماعة واحدة وأمة واحدة على عقيدة التوحيد وعلى متابعة الرسول ﷺ ، يقول الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] . انتهى النقل من كتاب : (مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري على ضوء الكتاب والسنة) إعداد : د. عبدالله الرفاعي ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

وتفصيل هذه الفتاوى مجتمعة في كتاب : (الجماعات الإسلامية بين العاطفة

والتعقل) للشيخ/ سعود بن مـلـوح العنزي، ص ١٠٣ - ١١٢، مضافاً إليها فصل
عن مضارّ وآفات التحزب والتفرق في الدين ص ٦٣ - ٦٩ مقتبس من كتاب
(حكم الانتماء) للشيخ/ بكر بن عبد الله أبو زيد من هيئة كبار العلماء، من ص
١٣٥، ومجموعه فتوى مفصلة بتحريم تعدد الجماعات والأحزاب الدينية.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد - الذي وحدنا الله على منهاجه من الوحي
ويريد الشيطان أن يفرقنا بمناهج غيره من الفكر - وعلى آله وصحبه وأتباعه .



مناظرة أهل الكتاب

الدعوة إلى الله عبادة، والعبادة لها طريق مستقيم واحد لا يجوز تغييره ولا تبديله ولا العدول عنه مهما تغير الزمان والمكان والأحوال: وحي الله في كتابه، وسنة رسوله، وسبيل المؤمنين في القرون الخيرة ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وإن عدل عنه أكثر الأفراد والجماعات والأحزاب الموصوفة بالإسلامية والمتسببة إلى الدعوة: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

واقْتداء بمنهاج النبوة والرسالة يجب أن يتجه اهتمام الداعي إلى الله لإصلاح المتتبعين إلى الإسلام أولاً - فهم رأس المال كما يقول الشيخ بكر أبو زيد - قبل أهل الكتاب والمشركين قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

وأكثر المتتبعين إلى الإسلام بعد القرون الخيرة خالفوا آخر وأهم وصايا النبي ﷺ فيما رواه أحمد عن أبي عبيدة رضي الله عنه: كان آخر ما تكلم به النبي ﷺ: «... واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وما رواه مسلم عن جندب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»، وما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، قالت: فلو لا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً، وقالت: يحذر مثل الذي صنعوا.

ونافس المنتسبون للإسلام والسنة - اليوم ومنذ قرون - اليهود على قبور أنبيائهم ، ونافسوا النصارى على المقامات المنسوبة للخضر ، ونافسوا فرق الضلال على مزارات ومشاهد شعيب والحسين وزينب ، وأسماء - يصعب حصرها - ما أنزل الله بها من سلطان ، وما هي إلا أساس أوثان وأنصاب وأصنام المشركين من عهد نوح فيما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : (أولئك [أوثان قوم نوح] أسماء رجال صالحين ، لما ماتوا أوحى الشيطان إلى من بعدهم أن ابنوا في مجالسهم أنصاباً) ، وفيما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال في مرض موته عن أضرحة وصور القديسين في كنائسهم : « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .

واليوم برز لمناظرة أهل الكتاب ومجادلتهم من لم يعرف منهاج النبوة في الدين والدعوة ولا ظهر منه إنكار للشرك وما دونه من البدع التي يتقرب بها إلى الله أكثر المنتسبين إلى الإسلام ، وانصرف إلى دراسة التوراة والإنجيل للرد على أهلها أكثر مما انصرف لتدبر كتاب الله والعمل به وتبليغه للجميع .

وهذا النهج انحراف عن منهاج الشريعة وسنن جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في الدعوة إلى الله على بصيرة كما أمر الله : البدء بالدعوة إلى أفراد الله بالعبادة أولاً وقبل كل شيء - حتى يوحدوا الله - ، ثم إلى تحكيم المسلم شريعة الله في العبادات ثم المعاملات ، وبيان ما أحل الله وما حرم ، وتحبيب الخالق إلى خلقه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥] ، ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] ، والحكمة هي السنة : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [النساء: ١١٣] ، ﴿ وَادْكُرْ

مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴿الاحزاب: ٣٤﴾.

وقد خصَّ الله أهل الكتاب بنهي المسلمين عن مجادلتهم أو مناظرتهم إلا بالتي هي أحسن - مع دخولهم في عموم الآية الأخرى -: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وليس من الإحسان سبَّ كتبهم واتهامها بفساد اللغة والتناقض في القصص وأنها من عند غير الله كما يفعل أبرز مجادليهم اليوم؛ فقد نهى الله عن سبَّ آلهة المشركين حتى لا يسبوا الله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الانعام: ١٠٨]، وصدق الله: لقد دفع سبُّ المسلم التوراة والإنجيل إلى سب النصراني القرآن واتهامه بمخالفة قواعد اللغة العربية والتناقض في القصص ودعوى الإتيان بمثله في بعض المناظرات المتأخرة^(١).

والالتزام بشرع الله في الدعوة ببيان فضل الإسلام وتصديقه لما قبله من الرسائل خير من سبَّ الأديان، وقد تبين لمكاتب دعوة الجاليات في المملكة صحة ذلك عملياً، والله أعلم وأحكم.

وصلّى الله وسلّم على محمد وآل محمد.



(١) مثل مناظرات الاستاذ/ أحمد ديدات من جنوب أفريقيا للقسيس الفلسطيني الاصل شروش وغيره.

الإعجاز العلمي للقرآن

لابد أولاً من افتراض حسن النية في كل من يحاول اجتذاب الناس إلى دينهم مهما ظهر من مجافاته طريق الصواب ، فقد قال الله تعالى عن أضل عباده : ﴿إِنَّهُمْ أَتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠] ، ولكن لابد من إظهار انحرافه عن منهاج النبوة حتى لا يغتر به الآخرون .

ومن أسوأ الأمثلة على ذلك : ربط كلام الله اليقيني بالنظريات الحديثة في الكون والحياة ، وكلها ظنية قابلة للتغيير والتبديل .

يعيد بعض الباحثين^(١) بداية هذا الانحراف إلى ما يلي :

١- محاولة بعض المفسرين الماضين سد الثغرات المتهمة في قصص الأنبياء بالتفاصيل المأخوذة من التوراة والإنجيل ؛ غافلين عن حكمة اقتصارها في كتاب الله على مواطن العظة .

٢- الاحتجاج بشعر العرب على القرآن - بدلاً من الاحتجاج بالقرآن على اللغة - : كما احتج الأشاعرة على تأويل الاستواء بالاستيلاء : (قد استوى بشر على العراق) ، وتأويل الكرسي بالعلم : (ولا يُكرسى علم الله مخلوق) ؛ صرفاً للفظ عن ظاهره .

٣- الاحتجاج بالرأي المخالف لمنهاج السنة في فهم الآية انتصاراً للمذهب : كما احتج الخوارج على ضلال عثمان وعلي رضي الله عنهما بقول الله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] مؤكدين رأيهم بحديث

(١) للتفصيل يراجع كتاب (بدع التفاسير) ، لرمزي نعناعة أثابه الله .

موضوع: أن رسول الله ﷺ قال لعثمان: (بك تفتح)، ولعلي: (أنت إمامها وزمامها وقائدها تمشي فيها مشي البعير).

وكما احتج الإمامية على حصر الولاية في علي رضي الله عنه - والأئمة من نسله - بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وأنها نزلت في علي رضي الله عنه إذ سأل سائل وهو رাকع في صلاته، فأومأ إليه بخنصره فأخذ خاتمه منه.

ولعل أول من وقع في شبهة الإعجاز العلمي في القرآن: الغزالي (ت ٥٠٥) في (إحيائه) إذ ادعى أن القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم، بعدد كلماته مضاعفة أربع مرات؛ بادعائه أن لكل كلمة ظاهراً وباطناً وهداً ومطلعاً، وفي كتابه (جواهر القرآن) يخصص الفصل الخامس لبيان احتمال القرآن على جميع العلوم أو الفنون الدنيوية.

وكما فتح الغزالي الباب للخلط بين التصوف والإسلام؛ فتحه للخلط بين الفكر والفقه في نصوص الوحي، فجاء من بعده الرازي (ت ٦٠٦) فزاد الطين بلة. ثم استفحل الأمر فجاء ابن أبي الفضل المرسي (ت ٦٥٥) فاستخرج الهندسة من قوله تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات: ٣٠]، والجبر والمقابلة من الحروف في أوائل السور مثلاً.

وفي هذا العصر الذي بهر أبصار المسلمين وبصائرهم بنظرياته ومخترعاته، وإذا كان الكواكبي (ت ١٣٢٠) هو السابق للابتداع في التفسير بمثل عزوه التصوير الفوتوغرافي إلى قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٥]؛ فإن لواء الابتداع في هذا الأمر

معقود للشيخ / طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨) ففي مؤلفه : (الجواهر في تفسير القرآن - ٢٦ مجلداً) كثير من المضحكات المبكيات ، منها : استخراج تحضير الأرواح من قول الله تعالى : ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٧٣] ، وقوله تعالى : ﴿أَوَ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠] ، واستنبط من الآيات أن يكون محضّر الأرواح ذا قلب نقي خالص كالعزير وإبراهيم وموسى .

وبهرت لغة العصر سيد قطب فوصف كلام الله (بالتصوير الفني ، والتصور الرباني ، والموسيقى الحادة التقاسم ، والموسيقى المطمئنة المتموجة) . ومصطفى محمود فتكلم عن (سمفونية الفاتحة) ، وعن (الشفرة والرمز والألفاظ المطلسة) في القرآن . وفي محاولة كل منهما - الأديب والطبيب - تفسير القرآن ما يفوق ذلك افتتاتاً على اللفظ والمعنى ، وانحرافاً عن شرع الله ومنهاج خيار هذه الأمة .

وإذا لم يقف ولادة أمر المسلمين في وجه هذا الهجوم الشرس على تفسير كلام الله بغير علم ولا هدى ، من قبل الأدباء والوعاظ والوراقين وتجار الدين ، فليس من المستبعد أن يحدث في الإسلام ما حدث في النصرانية عندما أرادت اللحاق بركب العصر العلمي فأدخلت في تفسير الأناجيل دراسات في الفلك ، وفي الرياضة والعلوم الطبيعية والفنون التطبيقية ، ولما تغيرت النظريات مع الزمن - كما يحدث دائماً في النظريات الظنية - فقد الدين النصراني احترامه بين أكثر أهله .

وقد رأينا اليوم انصراف الشباب المسلم عن تفاسير الأئمة في القرون الأولى

- وهم أهل اللغة التي أنزل بها القرآن ، وأهل العلم الشرعي المستنبط من الوحي -
إذ أعشاهم البريق المؤقت للتفاسير العصرية عن التمييز بين الحقيقة والخيال وبين
العلم اليقيني والفكر الظني .

وإعجاز القرآن عرفه المسلمون الأوائل القدوة في فصاحته وبلاغته وحججه
البالغة وإخباره عن غيب لا يعلمه إلا من أنزله . وبدعة الإعجاز العلمي للقرآن لا
تعدو أن تكون إهانة للقرآن وإعلاء لنظريات الملحدون .
وصلّى الله وسلّم على محمد وآل محمد .

■ ■ ■ ■ ■

المعروف المنكر والمنكر المعروف

عند غربة الدين قد يرى أكثر المنتسبين إلى الإسلام - فضلاً عن غيرهم - ما هو معروف في شرع الله منكراً، وما هو منكر في شرع الله معروفاً، والبدعة سنة والسنة تشدداً وتنطعاً وتنفيراً. وصدق رسول الله ﷺ وعلى آله ومتبعي سنته: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء» [رواه مسلم]، والغرباء هنا: هم الذين يبقون على منهاج النبوة اليقيني في الدين والدعوة إليه إذا تحوّل عنه أكثر أهله إلى مناهج البشر الظنية، وتحولوا عن جماعة المسلمين الواحدة إلى الجماعات والأحزاب الدينية المتعددة ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وبين النبي ﷺ أكبر سبب يوصل المسلمين إلى هذا الدرك: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا» [متفق عليه].

ومع وجود القلة من علماء الشريعة على منهاج النبوة اليقيني اليوم، والكثرة من طلاب العلم الشرعي الوظيفي على منهاج الفكر الظني - الموصوف زوراً بالإسلامي - فإن الشيطان والنفس الأمارة بالسوء يستعجلان الوصول إلى حال الغربة في الدين بصرف أكثر المنتسبين إلى الإسلام عن علماء الشريعة الربانيين إلى المفكرين - الموصوفين زوراً بالإسلاميين - والكتاب والصحفيين، والممثلين والمهرجين، والقصاص من الواقعيين. وكما يوضع السكر على حبة الدواء المرّ، توضع المحسنات اللفظية والمزيّنات الفنية على الفكر ليظنه الجاهل وحيّاً من وحي

الله وشرعاً من شرعه وفقهاً في دينه .

وإذا كان من أقرب الأمثلة صلة بالدين : انصراف القصاصين والحركيين والحزبيين من دعاة العصر عن نشر توحيد الله بإفراده بالعبادة والتمسك بسنة رسول الله ﷺ، والتحذير من إشراك الأولياء مع الله في دعائه وسائر عبادته، ومن الابتداع في الدين - منهاج كل رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكل رسالاته - فإن من أقرب الأمثلة صلة بالدنيا ما تنفثه أبواق التقليد اللفظي والعملي للمغضوب عليهم والضالين والملاحدين من الترغيب في عمل المرأة خارج بيتها - حتى لا يتعطل نصف المجتمع ! - والترهيب من عمل الأطفال - حتى لا تُسرق منهم الطفولة ! - زعموا !

وليتبين وجه الحق لا بد من رد الأمر إلى نصوص الوحي إذا وُجدت، أو إلى العقل الأصيل الذي لم يحرفه التقليد البيغائي عن فطرته :

أ - لقد أمر الله تعالى نساء نبيه ﷺ - قدوة المسلمين في كل مكان وزمان - في آية محكمة بالقرار في البيوت : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الاحزاب: ٣٣]، وحكم بأن مسئولية كسب المعيشة على الرجل : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] .

وقال رسول الله ﷺ لنساء المؤمنين : «صلاتكن في دوركن أفضل من صلاتكن في مسجد الجماعة» [رواه ابن خزيمة - صحيح الترغيب -] ؛ فكيف بما دون الصلاة من لهو، أو من عمل لم يضطرها الله إليه؟ وقال رسول الله ﷺ للرجال والنساء من أمته : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته؛ فالرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة

راعية في بيتها وهي مسئولة عن رعيته» [متفق عليه].

ومن هذا الوحي اليقيني من كتاب الله وسنة رسوله يتبين لمن تدبره أن الله تعالى قسم العمل المعيشي بين الرجل والمرأة: عليه تحمل مؤونة أهله بكسب المعيشة خارج البيت، وعليها تهيئة أسباب المعيشة داخل البيت، وتحقيق فطرة الله لها وقدره عليها يوم خلقها: ﴿لَيْسَ كُنْ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] زوجها، وتربية أطفالها حتى يؤهلهم الله لتحمل تكاليف الحياة داخل البيت أو خارجه حسب الاختيار الحكيم الثابت لخالقهم وليس تبعاً لأهواء البشر المتقلبة القاصرة.

ولقد يسر الله كلاً من الرجل والمرأة لما خلق له [متفق عليه]، وميَّزه بصفات عقلية وجسمية وعاطفية مختلفة تناسب وظيفته في الحياة، بعد الوظيفة العظيمة المشتركة بينهما وهي: عبادة الله وحده لا شريك له بما شرعه من عبادات مفروضة أو مسنونة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وإنما يظن الخرافون بأن انصراف المرأة لشؤون بيتها وزوجها وأولادها تعطيل أو سجن لها؛ لجهل أو رفض لاختيار الله وفطرته وشرعه وأمره لها.

ومع انتشار البطالة ونقص الوظائف والمهن اليوم عن عدد المؤهلين للعمل من الرجال في مختلف أنحاء العالم؛ فإن الدعوة لعمل المرأة خارج بيتها تزيد في استفحال المشكلة الاقتصادية، وتنقل مسئولية المرأة عن الإدارة والرعاية والتربية البيتية إلى الخادومات والمربيات المستقدمات من بيئات غريبة جاهلة، وكما أنه: ﴿لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]، فلن تكون الأجيال كالأم والزوجة.

ويمكر إبليس وتمكر النفس الأمارة بالسوء - أعاذنا الله منهما - فيسولان لمسلمي العصر - باسم الإسلام - مخالفة فطرة الله للمرأة وشرعه لها بإخراجها من

أمن بيتها وجرّها إلى فتنة السوق بإنشاء المصارف والأسواق والملاهي النسائية، بل والمساجد النسائية المستقلة أو الملحقة بالمساجد العامة. وهي دعوة عملية لترك المرأة ستر بيتها للأغراض الدنيوية، أو الدينية التي لم تفرض ولم تُستحب لها.

لقد أباح الشارع للمرأة الصلاة في مسجد الجماعة (رخصة لا عزيمة، وخلافاً للأولى الذي رغبها النبي ﷺ فيه وهو صلاتها في دارها) خلف الرجال، دون عزلها عنهم كما يفعل المنتطعون اليوم.

ب - أهم ما يتعلمه الطفل - بعد دينه - تحمل مسئولية نفسه وغيره، بقدر تكليفه واستطاعته، والمدرسة اليوم غير مؤهلة لتعليمه ذلك بل هي - في الواقع - تعلمه الاعتماد على غيره في العلم والعمل.

فإذا هيأ الله له الإنتاج في سنٍّ مبكرة؛ فلا يجوز لنا رده إلى عادة الاستهلاك، وإذا هيأ له قدر الله عليه حث خطاه إلى مرحلة الرجولة المقبلة والاعتماد على نفسه - بعد الله - وإعانة أهله المحتاجين إلى عونه؛ فلا يليق بنا رده إلى مرحلة الطفولة ومدّها تعسفاً حتى ينهي دراسته، ليظل عالة على غيره، ويعيش في سنوات نموه حياة الكسل والبطالة المقنعة بين التلهي بالهاتف والجريدة والإذاعة والألعاب الآلية، وبين المآكل الناعمة قليلة التغذية من مطاعم الوجبات السريعة. وفرحة الطفل بعمله وإنجازته أكثر من فرحته بلعبه، وعلى من يهتم بالطفولة أن يحرص على تعليمه القراءة والكتابة والأرقام بعد نهاية عمله اليومي في كسب معاشه، وذلك خير للطفل وللأمة من ضياع سني عمره الأولى في التظاهر بالإعداد لمستقبل لا يعلم إلا الله حدود وقته ونوعه - فالموت هو المستقبل الوحيد المؤكد لابن آدم الطفل أو الشيخ -، وجبر النقص وتقويم الاعوجاج خير من

التقليد الشكلي بتركيز الاهتمام على من يوصفون حقيقة أو خيالاً بالموهوبين كمثّل أحدوثة الراعي الأحق الذي قيل إنه يطلق سِمَان الغنم في المرعى ويحبس عجافها بحجة التمشي مع قدر الله لها .

والطفل الضعيف - لأي سبب - هو الجدير بالاهتمام الخاص حيث تشتد حاجته إليه ، أما الموهوب - إذا كان متميزاً حقاً - فهو أقدر على الاهتمام بنفسه .

ولقد تبين لي من دراستي النظرية وممارستي العملية - في حقلي الشريعة اليقينية والتربية الظنية - أكثر من نصف قرن - في الداخل والخارج - ما يلي :

١- أن من خير ما يفترض أن تدرب المدرسة الطفل عليه : تحمل تكاليف الشريعة والحياة ، وحسن معاملة خلق الله من الناس والدواب والأنعام والجماد . ولكن الواقع يؤكد أن نصيبها من النجاح في تأدية هذه الأغراض العظيمة ضئيل جداً .

٢- وأن من خير ما يفترض أن تعلّم المدرسة الطفل : حب العلم والرغبة في تحصيله داخل التنظيم التعليمي وخارجه ، أو كما يقول المثل الخيالي : (من المهد إلى اللحد) . ولكن نصيبها من النجاح في تحقيق هذا الغرض لا يزيد عن سابقه .

٣- بل الحقيقة أن نظم الدراسة المستوردة ، ومنها طريقة التعليم ذات الاتجاه المحدد الواحد - من فم المعلم إلى أذن الطالب ، والسباق الظالم غير المتكافئ - تعلم الطالب - دون قصد - كراهية المدرسة والضجر من الدراسة والتطلع إلى توقف التعليم بانتهاء الحصة واليوم الدراسي ، أو بحلول العطلة المدرسية ، أو بالتخرج من المدرسة ، أو بترك الدراسة .

٤- أشهر العلماء والمبدعين في التاريخ لم يصلوا إلى الإنجاز والشهرة بسبب المدرسة، بل بالرغم منها، وكثير منهم تركها - في إحدى مراحل الدراسة - لمن يستعيضون بالشهادات والألقاب الدراسية عن العلم، كما قد يستعيض العسكري عن الشجاعة بالأوسمة والنياشين - في رأي ساحر (الأز) الخيالي عن الحال في أمريكا، وهي قدوة الأغلبية ولو لعنوها.

٥- مهمة المسلم في الحياة أعظم من كل اختراع صناعي ومن كل إبداع جمالي ومن كل هدف فني: الالتزام بشرع الله على منهاج النبوة علماً وعملاً ودعوة لإخراج نفسه وغيره من الظلمات إلى النور، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [نصلى: ٣٣]، والمدارس العامة والخاصة لا تؤهله لذلك.

٦- أما الدنيا فالكافر أسبق إليها دائماً وهو أولى بها بل هو الأصل فيها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥]. وقال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» [رواه مسلم].

٧- ومن يسير في الأرض فينظر ويتفكر؛ يجد أن كل المنجزات القديمة المادية وثنية الأصل من إنتاج: الهندوس والأنباط والفراعنة واليونانيين والرومانيين والإنكا وغيرهم. والمنجزات الحديثة المادية: لغير المسلمين. وسيظل المسلمون - ما تمسكوا بدينهم - هم الأقل في متاع الدنيا وعلومها؛ فلم يلتفت الأوائل إلى علوم الدنيا اليونانية، ولم يلتفتوا إلى ترف الملابس والمسكن والمركب في العراق

وفارس والشام ومصر واسبانيا إلا بعد ضعف تمسكهم بالدين والدعوة إليه . قال رسول الله ﷺ : « ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » [متفق عليه] .

وصلّى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته إلى يوم الدين .



حقيقة المحبة الشرعية

حقيقة العبودية وحقيقة المحبة الشرعية : الالتزام بما جاء به محمد رسول الله ﷺ ؛ قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الاحزاب: ٢١] ، ولا سبيل للمسلم إلى تحقيق حبه لله ، وتحصيل حب الله ومغفرته له إلا اتباع رسوله ؛ قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] . ومن خالف منهاج الرسول ﷺ الذي اختاره الله ورضيه له ولا مته إلى يوم القيامة - كما فقهه وعمل به المؤمنون في القرون المفضلة - فلن يقبل الله منه ، مهما بذل من جهد وما ادعى من حب لله ولرسوله ولدينه ، بل ومهما بلغت رغبته في الخير والهدى من مبلغ ؛ قال الله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] . وقال تعالى : ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الاعراف: ٣٠] .

وقد غلت أُم غابرة وحاضرة في إظهار محبة الدين أو الرسول أو من يُعتقد فيهم الصلاح ، وتجاوزت حدود شرع الله لعباده ، فاستحقت غضب الله ولعنته وعقابه ، قال الله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيْرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَتُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠ ، ٣١] . وقبل اليهود والنصارى غلا البوذيون في (بوذا) ، وغلا الهندوس من قبلهم في (براهما) فعبدوهما . بل

زاد النصارى غلواً في عيسى فجعلوه تجسيدا لذات الإله وثالث ثلاثة، وبالتالي :
قالوا عن مريم عليها السلام : والددة الله ، وعن الله ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا
كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣] ، فقالوا : الأب .

وقد حذر الله أمة الإسلام في كتابه وسنة رسوله من اتباع سبيل الكافرين
والغلو في الدين ؛ قال الله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة:
٧٧] ، وقال النبي ﷺ : «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ،
فقولوا : عبد الله ورسوله» [رواه البخاري] . وقال ﷺ : «لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا
بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» [متفق عليه] ، وقال ﷺ :
«إياكم والغلو فإنه أهلك من كان قبلكم» [رواه أحمد] .

وصدق الله عز وجل ، وصدق رسوله ﷺ ، لقد تبع أكثر خلف المسلمين -
بعد القرون المفضلة - سنن من كان قبلهم من اليهود والنصارى والمشركين في أسوأ
أقوالهم وأعمالهم ، بقيادة الفاطميين أولاً والعثمانيين أخيراً وبتسويل التصوف
ووسوسته أولاً وأخيراً . ووجد أكثر من لم يمش في ركاب الضلال من المسلمين
أن لا قبل لهم بمقاومته ، فقال لسان حالهم : لكم دينكم ولي دين .

وبما أنه لا يكون إسراف إلا ويكون معه حق مضيع ؛ فقد صاحب الغلو في
ادعاء المحبة تضييع لرجاء الله وخوفه ، ولا يزال كثير من الدعاة والخطباء - فضلاً
عن العوام - بعد اثني عشر قرناً ونصف قرن من موت (رابعة العدوية) يتبعون ما
ينسب إليها من خرافة : (اللهم إن كنت أعبدك طمعاً في جنتك فاحرمني منها ،
وإن كنت أعبدك خوفاً من نارك فأدخلني فيها) وكل ما يميز (رابعة) في أخبار

السير - لو جاز الاعتماد على التاريخ في أحكام الدين - أنها تائبة عابدة، ولم يدع أحدٌ أنها من أولي الأمر والعلم الذين تؤخذ منهم الفتوى في الشريعة مما يحملون من نصوص الوحي والفقه في الدين .

ولا تصدق دعوى المحبة الشرعية دون موازنة بين الرجاء والخوف ؛ قال الله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الاعراف: ٥٦]، و«الدعاء هو العبادة». وقال الله تعالى عن أنبيائه وملائكته وصالحى عباده الذين يتقرب الناس بدعائهم منذ انحرف قوم نوح عليه السلام عن صراط الله المستقيم إلى قيام الساعة: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]. ولا يتم الإيمان دون الجمع بين المحبة والرجاء والخوف .

وقال المتسبون للإسلام والسنة في دعائهم النبي ﷺ - غُلُوا في حبه ومخالفة لهديه :- (يا أول خلق الله، ويا أول الأولين وآخر الآخرين). أما هو فقد قال - من وحي الله له :- «أول ما خلق الله القلم» [رواه أبوداود، والترمذي، والبيهقي].

واختاروا للصلاة عليه الصلاة النارية، وفيها وصفه بما لا يوصف به إلا الله : (الذي تنحل به العقد، وتنفرج به الكرب، وتُنال به الرغائب، وتُقضي به الحوائج). واختار لخير أمتهم ومن بعدهم - من وحي الله له :- «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد» [متفق عليه].

وقال شاعر المدائح المبتدعة مخالفاً أمر الله ورسوله :

وإن من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم

لو ناسبت قدره آياته عظماً

أحى اسمه حين يدعى دارس الرمم

وكذبوا قول الله وقول رسوله أنه بشر وأنه خلق من طين ومن صلب آدم؛ قال أبو الهدى الصيادي - الذي جعلته الخلافة العثمانية غير الراشدة وغير المهدية المرجع الديني الأول والأخير في عهد السلطان عبدالحميد -: (قبض العزيز جل جلاله من نور وجهه قبضة فخلق منها سيد الخلق ﷺ) . [قلادة الجواهر] .

وقال الرواس الحموي في كتاب (بوارق الحقائق) ص ١٩٣ :

وهو نور أزلّي طرزّه

صار في وجه وجود الكون شامة

طوي العالم في جَبَّتِه

وعلى العرش علت منه العمامة

وقال عوامهم في الموالد ما يشبه الذم مما لا يليق بمقام النبوة: خدّه أحمر مورّد . ريقه سُكّر مكرّر . بطنه طيّ الحرير . حين يشتد الزفير .

وجاء المفكرون والكتاب الموصوفون بالإسلاميين الذين استباحوا حمى العلوم الشرعية - وبخاصة التفسير والسيرة - وهم من غير أهلها؛ فقال بعضهم: (إن الله أعطى محمداً صفتين من صفاته ﴿رءوف رحيم﴾) . وما وعوا أنهم أخطأوا إن قصدوا الاشتراك في اللفظ؛ فقد قال الله عن الإنسان شاكرًا أو كفورًا: ﴿سميعاً بصيراً﴾ . وارتكبوا شركاً لفظياً إن قصدوا الاشتراك في المعنى المطلق، فلا شريك لله في صفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] .

وقال بعضهم: إن محمداً خير من موسى عليهما الصلاة والسلام، فقد قال الله عن موسى: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤]، وقال لمحمد: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥]، وأخطأوا لغة وشرعاً؛ فقد قال الله عمن هو دون محمد ﷺ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ٢١]. وعصوا نهي رسول الله ﷺ لأمته عن المفاضلة بينه وبين نبي معين: «لا تخيروا بين الأنبياء» - وفي رواية: لا تخيروني على موسى - فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش؛ فلا أدري كان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى - وفي رواية: أو كان فيمن استثنى الله - [متفق عليه].

قال رسول الله ﷺ في التحذير من مثل ما اقترفه هؤلاء العصاة: «هلك المتنتعون» ثلاثاً. [رواه مسلم]، وقال ﷺ: «إن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» [رواه الترمذي].

والإسلام والمسلمون في غنى عن الشطحات الصوفية الضالة والمقابلات اللغوية والفكرية المتنتعة، بوحى الله في كتابه الكريم وسنة نبيه المعصومة، قال الله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الفلم: ٤]، وقال رسول الله ﷺ عن نفسه: «أنا سيد الناس يوم القيامة» [متفق عليه]، وفي رواية ابن حبان: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه

الأرض، وأول شافع، بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه»، وقال ﷺ: «أعطيت خمساً لم يُعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة» [متفق عليه].

ومن لم يكفه ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله فما استسلم لأمر الله وشرعه، ولا صدق في ادعائه حب رسول الله ﷺ، ولا وجد حلاوة الإيمان، ولن تجد له ولياً مرشداً «فمن رغب عن سنتي فليس مني» [متفق عليه].

وصلّى الله على محمد وآل محمد.



القول على الله بغير علم

بعد القرون المفضلة المتميزة بالاتباع والفقه في الدين، انحدرت الأمة في قرون التخلف إلى حضيض التقليد الجاهل والتعصب المذهبي، وانحرفت فئة من جهلة العباد إلى التآسي بعباد اليهود والنصارى، وانحرفت فئة من المفكرين المناهضين للتقليد إلى إخضاع النصوص الشرعية لشطحات الفكر الوثني، تصديقاً لما أخبر به النبي ﷺ أمته: «لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع»، قالوا: اليهود والنصارى؟ وفي رواية: فارس والروم؟ قال: «فمن الناس إلا أولئك» [متفق عليه].

ولم يستثن الانحراف الفكري الفقه في كتاب الله ووحيه إلى رسوله ﷺ؛ فجاء من كبار مفكري الصوفية من يؤول الآية المحكمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، بما يناقضها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: ستروا محبتهم لله عن غيرهم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ﴾ يا محمد ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بك لأنهم لا يأخذون إلا عني، ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فليس فيها إلا محبتي، ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ فلا يسمعون إلا مني، ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٦، ٧] فلا يرون إلا إياي. [الفتوحات المكية لابن عربي ج ١، ص ١١٥].

وبمثل هذا التحريف عن مواضع الكلم أول قول الله عن قوم هود: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمְطِرُنَا﴾، ظنوا بالله خيراً وهو عند ظن عبده به، فأخبرهم بما هو أتم وأعلى - في القرب - من المطر، ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ﴾، فجعل الريح إشارة إلى ما فيها من الراحة، ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الاحقاف: ٢٤]، أي: أمر يستعذبونه إذا ذاقوه. [الفصوص والحكم لابن عربي، ص ١٠٩].

وحين لا يبلغ الانحراف هذا المبلغ، تُدَنَسُ التفاسير - بعد عصر الصفوة - بالقصص الإسرائيلية، والروايات المكذوبة والسفسطة العقلية، من ذلك ما روي بغير سند صحيح عن فتنة داود عليه السلام، وقصة الغرائق، وما أوَّلَ به محكم قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠] قال السيوطي رحمه الله في تفسير الجلالين: (واختص العقل ذاته، فليس عليها بقادر).

وفي هذا العصر الذي رغب فيه العرب عن لغة الكتاب والسنة واحتضنوا لغة الجريدة والإذاعة، استبيح حمى التفسير فلم يتورع عنه المثقف الجاهل بشرع الله؛ استباحه الخطيب والواعظ والكاتب والطبيب والمهندس، وكل من هبَّ ودبَّ وهان عليه القول على الله بغير علم.

وصار من مسلّمات مفسري العصر، والمخدوعين بزيهم وألقابهم (مثلاً):

١- أن الله لا يؤمن من غضبه وعقابه إلا المصلحين، أما الصالحون فلا أمان لهم استدلالاً بقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، فإنه لم يقل: وأهلها صالحون.

وغاب عن إدراكهم أن كلمتي: ﴿الصَّالِحِينَ﴾ و﴿المُصْلِحِينَ﴾ وردتا في كتاب الله بمعنى واحد؛ قال الله تعالى في غير الأنبياء من بني إسرائيل: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الاعراف: ١٧٠]. وقال تعالى في عدد من الأنبياء: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦]. وقال تعالى في الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. وورد وصف المصلحين بالصالحين - والعكس - في آيات كثيرة، ولكن التدبر

قليل؛ إذ شغل مكانه بالتنطع والتشدد والفيهقة، وبالحفظ والتجويد الذي لا يتجاوز الحناجر. نسأل الله المغفرة والهداية للجميع.

٢- أن الله لا يضيف إلى نفسه من العباد إلا الصالحين، استدلالاً بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

ولم تتسع عقولهم لحقيقة أن الكل عباد الله صالحهم وطالحهم؛ قال الله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَضَلُّتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [الفرقان: ١٧]. وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبا: ٣]. وورد المعنى بلفظ ﴿عبادك﴾ و﴿عباده﴾ و﴿عبادي﴾ في آيات وأحاديث كثيرة.

٣- أن الله قدّم السمع على البصر بياناً لأهمية الأول في مثل قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [يونس: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

فلم يردعهم مثل قول الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الاعراف: ١٧٩]، وقوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦]، عن القول عليه بغير علم.

٤- أن الله قدّم البشارة على الإنذار في وصف الرسل، دليلاً على فضل الأولى - على الثاني - في منهاج الدعوة، مستدلين بقول الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الأنعام: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩].

وضاقت أفهامهم عن استحضر قول الله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ وَبَشِيرٍ﴾ [هود: ٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ

مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ ﴿١١﴾ [يس: ١١]. والآيات مثلها كثيرة.

والسبب الأول في نقص المدارك أن العلم بشرع الله فقد الشمول والاحاطة والتدبر - الذي كان سمة للأئمة الأول ومن سار على نهجهم - ومُلئ فراغه بالألقاب الدراسية المغربية والزيّ المبتدع، (ومُسخت الجوامع) فتحولت جامعات لإعداد الموظفين.

ولأن المطابع ودور النشر والمكتبات التجارية تقول دائماً: هل من مزيد؟ فإن أدعياء العلم الشرعي مستعدون لاغتنام فرص الكسب من الغنائم الباردة: مزيج من النقل الحرفي والفكر الضحل، ثم يتوج الناتج بحفظ حقوق الطبع والتأليف، وحظر النقل والإقتباس، خلافاً للمثل المصري: (السارق من السارق كالوارث من أبيه).

ولأن شباب ما يسمى بـ(الصحوة الإسلامية) - بقوة حماسه وضعف بصيرته وقلة تثبته - مندفع لتشجيع واستهلاك كل ما يوصف بالإسلامي والإسلامية من كتاب وشريط وخدمة تجارية؛ فإن الوراقين والكتّاب والحركيين والحزبيين (الإسلاميين) مستعدون لاستغلال فراغه وعطشه وجدته بكتب التفسير والسيرة، والخطب والدروس الفكرية، (وتجويرها) للمصلحة الفردية أو الحزبية.

والحصيلة النهائية: مساوئ كثيرة وخطيرة، أكبرها: القول على الله بغير علم في الحاضر، والمرونة على ذلك في المستقبل، إن لم يتدارك ولادة الأمر من المسلمين - علماء وأمرأ - هذا الأمر، ويردوه إلى سنة رسول الله ﷺ، وسنة خلفائه، وفقه صحابته وأئمة الهدى في القرون المفضلة.

وصلّى الله وسلم على محمد وآله.



إنما المساجد لذكر الله وحده

قبل سنوات دُعي عدد من المفكرين الموصوفين - خطأ - بالإسلاميين إلى مؤتمر لبحث ما سموه: (رسالة المسجد). وكالعادة تسابق المدعوون إلى الانتفاع بغنائم المؤتمرات العاجلة: السفر والإقامة المجانية، والتطلع إلى غنائم المؤتمرات الآجلة وأهمها: الوظيفة في المؤسسة - التي يُتوقع أن تنشأ كالعادة لتحقيق نتائج المؤتمرات وتوصياتها - لصالح الفرد أو حزبه:

أ- ولضمان الوصول إلى هذه الغايات حرص المفكرون - والفكر غير الوحي؛ فلا يجوز نسبته إلى الإسلام - على ما يلي:

١- استعراض مؤهلاتهم وخبراتهم والرمز لها بحروف تسبق أسماءهم، مما يذكر بقول بعض العابثين إن - أ - تعني: أحقق، و - د - تعني: دجال. ولئن نزهنا أكثرهم عن تهمة الدجل، فالحمق ليس ببعيد عن يحرص على استعراض لقبه الدراسي مما ترقع عنه علماؤنا الأعلام جميعاً رحمهم الله.

والمسلم - بل والكافر - لا يظن فكره وعمله إلا على الهدى في أغلب الأحوال، فقد قال الله تعالى عن أكثر خلقه ضلالاً وكفراً: ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الاعراف: ٣٠]، وقال تعالى عن أمثالهم: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، ولكن تزكية النفس وادعاء العلم والتفاخر بالمظاهر والألقاب المستوردة مخالفة للشرع والعقل والخلق، واستعاضة بالألقاب والرموز الرخيصة عن المراقبي العالية لعلوم الشريعة.

وللقارئ أن يرجع إلى البحث العلمي الفريد للشيخ / بكر بن عبدالله أبو زيد بعنوان: (تغريب الألقاب العلمية) وقد كتبه بعد حصوله على درجة العالمية

(الدكتوراه) وأصرَّ على رفض إلصاقها باسمه ، شفاه الله وعافاه ورفع درجاته في الدنيا والآخرة .

٢- حشد أكبر عدد من المهمات التي يعتقد المفكرون الحركيون أن المسجد أسَّس لخدمتها ، ظناً منهم أن أي استخدام للمسجد - رخصة - في عهد النبوة ؛ دليل صريح على فرض استخدامه للغرض نفسه إلى قيام الساعة ، وإلا وقعت الأمة والولاية بخاصة في الإثم لأنها - كما يقولون بلغة الصحافة الدارجة - : (أفرغت المسجد من محتواه فلم يعد يُستعمل إلا للصلاة) .

ب- ولم ينتبه المفكرون الغافلون إلى أن المساجد إنما أذن الله بينها للصلاة وما تشتمل عليه من ذكر الله وتلاوة لكتابه ، وأن استعمالها لغير ذلك من الأمور المباحة إنما كان رخصة للحاجة .

وليس من دواعي الشرع ولا من دواعي العقل ما يوحى بالدعوة إلى إلغاء مباني المعاهد العلمية ودور الضيافة والمؤسسات العسكرية والأمنية وقاعات الاستقبال والمؤتمرات اكتفاء بمبنى المسجد لأن الرسول - صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأتباع سنته - رخص - بقوله أو فعله أو تقريره - في النوم ، وعقد ألوية الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا ، وربط الأسير ، واستقبال الوفود ، بل ولعب الأحباش المباح في المسجد .

ولا شك أن المفكرين الموصوفين بالإسلاميين لن يخالفوا العلماء بشرع الله في ذلك لو أنهم خرجوا عن مألوفهم فربطوا النتائج بالمقدمات ، واستفادوا من فقه أئمة الأمة في نصوص الوحي ، ونبذوا الفكر واعتصموا بالوحي ، واتبعوا منهج النبوة المعصومة وسبيل المؤمنين من الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين .

جـ- ولو أنهم خالفوا نهج بني إسرائيل في تحديد أوصاف البقرة التي أمرهم الله بذبحها، واكتفوا بما بينته آية واحدة وحديث صحيح واحد؛ لكفوا المسلمين عنت النفقات والأوقات والجهود التي صُرفت لتوضيح أمر واضح وبالتالي الخروج به عن حدود شرع الله. قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦]، وقال رسول الله ﷺ عن المساجد: «إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن» [رواه مسلم]. والصلاة ذكر لله وقراءة للقرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال النبي ﷺ: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» [رواه مسلم].

ولكن الحركيين الحزبيين اعتادوا - على حين غفلة من أولي الأمر في بلاد الإسلام - اتخاذ المساجد مفارخ للحزبية (الإسلامية) المبتدعة، والفتنة بين الشباب وجماعة المسلمين ومن ولأه الله أمرهم وراء جدران دور تحفيظ القرآن المحدثه التي صارت جزءاً لا يكاد يفصل عن مبنى المسجد.

والقرآن مكانه المصلّى ليستفيد الجميع من مدارسته؛ فما الحاجة إلى عزله عنه؟ وأهم من تحفيظ القرآن تدبره؛ فهو السبب الأول والأهم لنزوله؛ قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، ومع ذلك لا ذكر له في فكر الحركيين ولا في تنظيمهم التربوي إذ انشغلوا عنه بالتحفيظ والتجويد جرياً على عادتهم الفاسدة: شغل الأمة بالمهم عن الأهم.

هدى الله الجميع لأقرب من هذا رشداً، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا عبدالله ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته.

الجهاد الوهمي

بقيت آثار المسلمين - لا الإسلام - المعمارية شاهداً على حكمهم (إسبانيا) مئات السنين، ولم يبق أثر لأهم ما حملهم الله إياه وميزهم به: دينه الحق؛ فلقد حرص ملوك إسبانيا على محو كل ما له صلة بالإسلام، ولم يروا بأساً ببقاء الآثار المادية العمرانية التي اشترك في إيجادها والإعجاب بها والرغبة في بقائها المسلم والكافر، إذ أدرك أعداء الإسلام أن لا صلة لهذه الآثار بالوحي ولا بالفقه فيه، وإن لم يدرك ذلك أكثر متأخري المسلمين فوصفوها بالإسلامية، بعد أن فقدوا القدرة على التمييز بين وحي الله وفكر البشر، وبين الدين والدنيا، وبين العبادة والعادة، وبين عمارة الزينة وعمارة الطاعة، وبين المسلمين والإسلام.

وكما أن الله تعالى لم يعلم رسوله - صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته - الشعر ولم يبتغ له؛ فلم يحتضن شرع الله للإسلام شيئاً من الفنون الأخرى وما ينبغي أن تُفتري عليه، وأبرز مظاهر ما وُصف بالعمارة الإسلامية افتراء على الإسلام - مثل الأقواس والقباب والنقوش وتيجان الأعمدة واستدارة المحاريب وهرميّة المآذن والرمز بالأهلة - مأخوذ من العمارة الكنسية - وبخاصة البيزنطية - أو الوثنية، ومبني بأيدي المهرة من بلاد الشام وإسبانيا النصرانية - بعد أن حكمها المسلمون سواء منهم من أسلم أو بقي على دين آبائه وأجداده - أو المهرة من الهند وفارس.

وبعد قرن من سقوط (غرناطة) كتب (ثرفانتس) هزلية (دون كيهوتي دي

لامنشا) عن قروي نبيل أفرط في قراءة الروايات الخيالية عن البطولة والشهامة حتى تغلب الخيال على الحقيقة في عقله فندب نفسه لتحقيق العدل الوهمي ومحاربة الظلم الوهمي، وخرج على دابته الهزيلة مهاجماً مطاحن الهواء [الجبابرة] وقطعان الماشية [جيوش الأعداء] ومنازل المسافرين على الطرق [حصونهم].

وفي كل معركة خاضها يرجع بالخيية والخسارة، وتبقى الأهداف الوهمية قائمة غير منقوصة، وكأنه كان يرسم الطريق لمجاهدين يأتون من بعده زأدهم الخيال، وإن فاقوه سفهاً بنسبة جرائمهم للإسلام.

ولعل (إسبانيا) وقد أخذت من المسلمين أسوأ إنتاجهم - مظاهر الإسراف والترف - قد كافأتهم بأسوأ مثل أنتجت للخيال والبعد عن الحقيقة والواقع: عدوى الدون كيهوتي.

ففي نهاية القرن الماضي من التاريخ الهجري أعلن مرشد أول ما وصف بالثورة أو الجمهورية الإسلامية: أن الشيطان الأكبر هو أمريكا، وتلقى الحركيون - الموصوفون بالإسلاميين والمسيحيين والشيوعيين والقوميين - هذا الإعلان بالقبول المطلق، وسارعوا لبذل أنفسهم وأموالهم أو أنفس وأموال غيرهم - وافقوهم أو خالفوهم - في جهاد وهمي باسم الدين أو القومية، رغم اختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم ومعتقداتهم، وإنما تجمعهم عاطفة هائجة تشغلهم بالشيطان في السياسة الفكرية عن الشيطان في الحقيقة الشرعية، وبالجهاد الدنيوي للأرض والهوية عن الجهاد الشرعي: «لتكون كلمة الله هي العليا» [البخاري ومسلم].

قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ [الاعراف: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠].

فالشيطان الحقيقي الأهم والأول هو إبليس الذي أخرج أبونا من الجنة، وهو من الجن، وهو الذي قيضه الله قريناً لمن عمي عن وحيه والفقه فيه والعمل به، وهو الذي أمرنا الله بالحذر والاستعاذة منه ونهانا عن عبادته بطاعته. ولا يصح وصف الشيطان الحقيقي ولا الخيالي بأنه الأكبر؛ فقد وصف الله الأول بقوله: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩]، ونعلم أن الشيطان الخيالي قد عجز عن قهر عدوه الأقرب (كوبا) وعدوه الأبعد (فيتنام) وكلاهما يقل عنه عدداً وعدة وتقنية، وعجز عن حماية حلفائه في إيران والفلبين وأمريكا الجنوبية وغيرها.

وينافس إبليس على المركز الأول في محاولة إغواء البشر: الهوى أو العاطفة من النفس القريبة المحبوبة، قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يسف: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: ٢٣]؛ وليس من الشرع ولا من العقل التلهي بالخطر الأبعد عن الأقرب، ولكن الانحراف عن الوحي الإلهي إلى الفكر الظني - الموصوف بالإسلامي زوراً - جعل عقل المسلم المعاصر - إلا من رحم الله - في أذنيه، كما قال شوقي في ترجمته لشكسبير عن الشعب الروماني في عهد يوليوس قيصر:

(انظر الشعب [دُيُونُ])

كَيْفَ يُوحُونَ إِلَيْهِ

يَا لَهُ مِنْ بَبْغَاءٍ

عَقْلُهُ فِي أَذْنِيهِ).

فلقد تحولت خطب الجمعة - في أكثر الأحوال والأوقات -، وأشرطة تسجيل المواعظ والمجلات والكتب الموصوفة بالإسلامية، أبواقاً للتهيج السياسي العنيف ضد الحكومات المسلمة وغير المسلمة، وإذا ذُكِرَ أقطاب الجهاد الخيالي في أفغانستان - وما بعدها - بواجب تصحيح الاعتقاد شرطاً للجهاد الشرعي والرجوع إلى السنة شرطاً للنصر؛ اتَّهَمُوا أَهْلَ الذِّكْرِ بالتخذيل والتشيط، وكانت النتيجة العملية: استحلال بعض شباب المسلمين قتل أنفسهم وقتل عشرات ومئات وآلاف الأنفس التي حرم الله قتلها بغير الحق، وصار التفجير والترويع والتخريب وخطف الطائرات والغدر عملة دارجة باسم الجهاد والاستشهاد، وقد بين الوحي من الله أن لا جهاد ولا استشهاد إلا لغرض واحد: «لتكون كلمة الله هي العليا»، أي: لا للأرض ولا للهوية القبلية أو الجغرافية ولا للغضب ولا للحقد، وتبين من هدي النبوة أنه لا يقال: فلان شهيد لمن لم يشهد له - بعينه - الوحي من الله [البخاري].

أما أمريكا فهي مثل لفافة التبغ، الأكثرية تدخنها وتلعنها، وليست إلا دولة علمانية تبحث عن مصلحتها - كما يبحث الجميع عن مصالحهم - . وللمصلحة المادية أعانت حكام العراق على إيران عندما هددت جيرانها، وللمصلحة المادية

أعانت الكويت على العراق عندما احتلتها أسوأ احتلال عرفه التاريخ، وللمصلحة المعنوية حاربت نصارى الصرب لإيقاف اعتدائهم الوحشي على جيرانهم المسلمين، وللمصلحة المعنوية أعانت الأحزاب الأفغانية بآلاف الملايين لطرد الروس المعتدين، ثم اتفقت مع روسيا لإرغام (طالبان) على تسليم المعتدين عليها، وللمصلحة المعنوية منعت منذ عشرات السنين تعليم الإنجيل داخل أمريكا في المدارس الحكومية، ومع ذلك يتأرجح الحركيون بين وصفها بالعلمانية ووصفها بالصليبية وفق مهبّ الريح الفكرية، رغم أن الحروب المسماة بالصليبية انتهت قبل تسعة قرون، وأن الكلمة (CRUSAID) عادت إلى معناها الأصلي: المقاومة الحازمة للشر أو المناصرة الحازمة للخير.

ولو صدق ظن الحركيين والفكرين وتحققت خيالاتهم وأحلامهم عن خطر خارجي - أكثر من الداخلي - على المسلمين، لما جاز لغير ولي الأمر المسلم إعلان الجهاد، ولما جاز الاعتداء على العدو وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢]، ولما جاز معاملتهم بغير العدل وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، وفرق - لا يدركه الحركيون والفكريون - بين الولاء والمعاملة؛ فقد كان النبي ﷺ يحسن معاملة اليهودي والنصراني والمشرک في البيع والشراء والزيارة والهدية والتعاون على الخير، ولا يوالي إلا الله وملائكته والمؤمنين من عباده.

ولكن لماذا يزيد الاهتمام بالجهاد الخيالي - أو الحقيقي لو وجد - على ما هو أهم منه، من الدعوة إلى أفراد الله بالعبادة والتحذير من الشرك بالله في عبادته،

الذي يتجاهله المتمون إلى الجهاد الإسلامي اليوم قبل غيرهم؛ فلا يُعرف لواحد من قادة الدعوة إلى الجهاد أي اهتمام به رغم أنهم عاشوا بين أوْثان المزارات والأضرحة والمشاهد والمقامات الخاصة بالمنتمين للإسلام أو المشتركة بينهم وبين اليهود والنصارى وفرق الضلال المختلفة؟

الجواب: أن دعوة التوحيد والسنة - التي عاشها المسلمون الأوائل بضع عشرة سنة قبل أن يُحلَّ الله تعالى لهم الجهاد الحقيقي لغرض واحد: أن تكون كلمة الله هي العليا - لا تجذب الأكثرية الغوغائية كما تجذبها دعوة الحقد والحسد والفساد. والله ولي التوفيق.



لزوم السنة والجماعة والسمع والطاعة

الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؛ أصل عظيم من أصول الإيمان. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، وقال النبي ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» [رواه مسلم].

وقد ألزمتنا الله الطاعة المطلقة لواحد من البشر لا ثاني له، عصمه من الزلل في تبليغ دينه: محمد ﷺ.

وألزمتنا اتباع منهاج واحد لا ثاني له، مصدره الوحي، لا الهوى ولا الظن ولا الفكر: سنته المطهرة من كل نقص أو خلل، بهما يجتمع المسلمون، وبغيرهما يتفرقون شيعاً وأحزاباً وجماعات. قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقال الرسول ﷺ: «فعلیکم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسکوا بها، وعضوا علیها بالنواجذ، وإیاکم ومحدثات الأمور، فإن کل محدثة بدعة وکل بدعة ضلالة» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم وغيرهم (صحيح الجامع الصغير)].

وشرع الله لنا وحدة الجماعة على الدين الحق، وحذرتنا من التفرق فيه. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ

زُبْرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٢﴾ [المؤمنون: ٥٢، ٥٣]. وقال رسول الله ﷺ: «من مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية» [رواه مسلم].

وألزمتنا الله ورسوله السمع والطاعة لولاة الأمر منّا، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]. وقال رسول الله ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت، إلا مات ميتة جاهلية» [متفق عليه]، وقال ﷺ: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي». قال حذيفة رضي الله عنه: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمر، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع» [رواه مسلم]. وقال رسول الله ﷺ: «إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما» [رواه مسلم]، وقال ﷺ: «إذا رأيتم من ولا تكلم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعن يداً من طاعة» [رواه مسلم]، وقال ﷺ: «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون - أو يميتون - الصلاة عن وقتها؟» قال أبو ذر رضي الله عنه: قلت: فما تأمرني؟ قال: «صل الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصل، فإنها لك نافلة» [رواه مسلم].

واستثنى الرسول ﷺ الأمر بمعصية فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومع ذلك لم يأذن للمسلم بنزع يده من طاعة أميره لمعصيته أو ظلمه أو كراهيته مطلقاً، كما قال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أحد رواة هذه الأحاديث: (أطعه في طاعة الله وأعصه في معصية الله) [رواه مسلم].

والتمييز عن جماعة المسلمين بحزب أو فرقة أو جماعة أو منهاج محدث أو طائفة أو أمير مطاع؛ خروج عن الجماعة وعن شرع الله وسنة رسوله من وجوه:

١- بين الله في محكم كتابه وسنة رسوله ﷺ أن صراطه وشرعه وسبيل المؤمنين إليه واحد: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾، ونهى عن السبل المتعددة: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة عن تعدد الأحزاب والفرق، فلا خير في تعددها وإن وصفت - زوراً - بالإسلامية.

٢- المنهاج الشرعي الفرد للدعوة إلى الله في جميع رسالاته في كل حين: صرف أول الاهتمام وأعظمه إلى حمل الناس على أفراد الله بالعبادة، وترك الشرك بالله في العبادة؛ دعاءً أو ذبحاً أو نذراً أو استغاثة أو غيرها مما اختص الله به ذاته. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وجميع الأحزاب والفرق والجماعات الموصوفة بالإسلامية في هذا العصر تخالف هذا السبيل مخالفة تامة، بإهمالها هذا الأصل الأول والأعظم من أصول الدعوة إلى الله على بصيرة، مع اهتمامها بتفاصيل جزئية غير مهمة وغير مشروعة ديناً؛ كما أوصى الشيخ/ حسن البنا رحمه الله أعضاء حزبه بتقليل شرب الشاي والقهوة، وأوصى الحكومات بتوحيد الزي وتنظيم المصاييف في (مجموعة رسائله)، وكما حمل الشيخ/ تقي الدين النبهاني رحمه الله نفسه الفتوى لأعضاء حزبه بمصافحة الأجنبية والنظر إلى الصور العارية في (دستور الحزب) و(شخصيته الإسلامية).

٣- ومع كثرة النصوص من الوحيين - وقد مر بعضها - في الحث على لزوم

السنة فإن الأحزاب الحركية المعاصرة - وهي تحرص على وصف نفسها بالإسلامية - تخالف السنة في أهدافها : (منازعة الأمر أهله)، ووسائلها : (تفريق الأمة بزيادة عدد فرقها) وأحياناً بنصوصها كما نرى بالمقارنة بين وحي الله عن الموبقات : «سبع : الشرك بالله . . . إلخ» في الحديث المتفق عليه ، وفكر حسن البنا رحمه الله : (عشر : الاستعمار . . . إلخ) ، ولم يتفق الفكر الإسلامي المبتدع مع الوحي إلا في واحدة : الربا [المذكرات ٢٩٥] ، وكذلك فيما ابتدعه عفا الله عنه من : (الوصايا العشر) و(الأوراد) ونحوها .

٤- ومع كثرة النصوص من الوحيين - وقد مر بعضها - في الحث على السمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين فإن الأحزاب الحركية المعاصرة تركز أهدافها ومناهجها ونشاطها على مخالفة ولادة أمر المسلمين واغتصاب سلطانهم ، والتحريض بينهم وبين رعاياهم ، واستغلال حماس الشباب وعواطفهم في هذا السبيل تحت مظلة التحفيظ والتفسير ودراسة السيرة .

هدى الله الجميع لشرعه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله .



الخلافة في الأرض

قال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، أي: قوماً يخلف بعضهم بعضاً [ابن كثير]، لقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [مرد: ٥٧]، وقوله تعالى لعاد: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الاعراف: ٦٩]، وقوله تعالى لشمود: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ [الاعراف: ٧٤]، وقوله تعالى لآمة محمد: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤].

وليس المراد بالخليفة - في الآية الأولى - آدم عليه السلام بدليل قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وآدم منزّه عن ذلك [القرطبي].

والاستخلاف في عمارة الأرض وفي المال وفي الحكم ابتلاء من الله لكل مُستخلف من عباده كما قال الله تعالى: ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، وقال تعالى لداود: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال تعالى عن سليمان: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]:

١- وقد غلب على مسلمي العصر الخلط في فهم معنى الخلافة، فحصروها في الولاية الشاملة لجميع بلدان المسلمين، وظنوها وحدها الصيغة الشرعية للحكم، مما أدى ببعض شباب الأمة - الذين رزقهم الله من الحماس ما لم يرزقهم من العلم والتثبت - إلى رفض غيرها من صيغ وعناوين الولاية. وأثناء تطلعهم واستعجالهم هذا النوع المثالي من الحكم أسقطوا شرط الرشد والهداية؛ فعَدَّوا

السلطنة العثمانية - غير الراشدة وغير المهديّة - آخر خلافة شرعية .
والخلافة والاتحاد - مثل التعاون - قد تكون على البر والتقوى أو على الإثم
والعدوان .

٢- وقد بين النبي ﷺ أن «الخلافة - النبوة الراشدة المهديّة - ثلاثون سنة ، ثم يؤتي
الله الملك من يشاء» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم بإسناد صحيح] ؛ وهي ولاية أبي بكر
وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وأرضاهم ، وهم الذين ميزهم النبي ﷺ
بقوله : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» [رواه أحمد وأبو داود
والترمذي وابن ماجه وغيرهم] .

٣- ولكن ثبت في الصحيحين قول النبي ﷺ : «يكون بعدي اثنا عشر خليفة من
قريش» ، وفي رواية : «لا يزال الدين قائماً حتى يكون اثنا عشر خليفة من قريش» ،
وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون الأربعة وضعف عددهم من ولاية العهد الأموي ،
ومن هؤلاء الثمانية : الصالحون ، ومنهم دون ذلك ، تجاوز الله عنا وعنهم ،
وليسوا مثل الأربعة السابقين ، ومع ذلك وصفهم النبي صلى الله وسلم وبارك
عليه وعليهم جميعاً بالخلفاء .

٤- وعلى هذا فليس لفظ الخليفة المطلق ولا غيره دليلاً على صحة الولاية ولا
فسادها ؛ وقد اصطفى الله طالوت ملكاً يقاتل في سبيل الله - لا في سبيل الأرض
والهوية العربية - وزاده بسطة في العلم والجسم ، وكان من جنده داود عليه
السلام ، وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء . ووصف الله ولاية سليمان عليه
السلام بالملك إذ ورث أباه داود في العلم والحكم والنبوة ، وخير الله تعالى رسوله
محمد ﷺ بين أن يكون ملكاً رسولاً وبين أن يكون عبداً رسولاً فاختر صفة
العبودية والرسالة ، فيما رواه الإمام أحمد وغيره .

٥- والإمامة - أو الخلافة أو الملك - تنال بالنص أو بالإيماء إليه كما في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، أو باستخلاف مَنْ قبله له كاستخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنهما ، أو بترك الأمر شورى بين عدد من الصالحين يختاره الخليفة السابق كما فعل عمر رضي الله عنه ، أو باجتماع أهل الحل والعقد - لا الغوغاء - على مبايعته أو مبايعة واحدٍ منهم له ؛ فيجب التزامها عند الجمهور ، وحكى إمام الحرمين الإجماع على ذلك ، أو بقهر واحدٍ الناس على طاعته فتجب درءاً للشقاق والاختلاف ، نص عليه الشافعي [ابن كثير] . وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا سنة خلفائه الراشدين ولا فقه أئمة الدين في القرون المفضلة بل ولا في القرون العشرة بعدها ما يشرع الولاية بعدد أصوات الناخبين فضلاً عن تفضيلها ، وإنما ذلك تقليد للقوانين الوضعية وتحكيم لرأي الأكثرية ، وقد قال الله تعالى عن أكثر الناس أنهم : ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ ، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ .

٦- وأكثر الأخطاء في فهم معنى الخلافة انتشاراً : اتباع القول بأنها (خلافة عن الله في أرضه) تعالى الله عن الحاجة إلى استخلاف أحدٍ من عباده عنه ؛ فهو العليم الخبير ، وهو السميع البصير ، وهو مع كل خلقه بعلمه وحكمه وتدبيره ، ومع صالحى عباده بتوفيقه ونصره .

٧- ومما تقدم يتبين خطأ سيد قطب - تجاوز الله عنا وعنه - الذي تلقّفه أكثر الشباب اليوم في ظنه أن اختيار معاوية رضي الله عنه - فمن بعده - ابنه للحكم من بعده خروج عن (قاعدة الإسلام الأساسية في الحكم : اختيار المسلمين المطلق) ، كما أخطأ في ظنه (أن الحاكم في الإسلام يتلقى الحكم من مصدر واحد : هو إرادة المحكومين) ، وأن الطريقة الصحيحة لاختيار الحاكم : (أن نستشير الجميع بالطريقة التي تكفل الحصول على آراء الجميع) ، وأن (النبي لا يملك أن يؤمّر أحداً

دون مشورة المؤمنين) [معركة الإسلام والراسمالية، دار الشروق ١٤١٤، ص ٧٢-٧٣]؛ فوراثة الحكم جائزة بنص الآية: ﴿وَوَرِّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [النمل: ١٦]، ولم يؤمر النبي ﷺ خليفة له من بعده - بمشورة ولا بدونها - نصاً صريحاً، ولكن إنابته أبا بكر رضي الله عنه لإمامة المسلمين عنه في مرضه إشارة واضحة لأهليته وأولويته في تولي الأمر بعده. وعلى هذه السنة عهد أبو بكر بالأمر من بعده لعمر بن الخطاب رضي الله عن الخليفين. وقد شرع الله الشورى بين المسلمين، ولكن نتيجتها غير ملزمة لولي الأمر؛ إذ خالف أبو بكر أكثر الصحابة - أو كلهم - في محاربة ما نعي الزكاة؛ بل خالف من لم ير منهم تولية عمر رضي الله عنهما.

وصلّى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آل محمد وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.



رأي آخر في خطبة الجمعة

سبق أن كتبت تحت عنوان (رأي آخر) في أكثر من أمر لاؤكد أن ما أقوله مجرد رأي - بين آراء مختلفة - لا أدعي صوابه ولا أطمح إلى فرضه لو استطعت إلى ذلك سبيلاً.

ولكن ما أكتبه اليوم يتعلق بالعبادة، وهي توقيفية مبنية على اليقين من نصوص الوحي وفقه علماء الأمة في هذه النصوص، وقد حذرنا الله تعالى من القول في شرعه بما يليه الظن والعاطفة، وألزمنا اتباع الهدى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]. وفيما يلي أعرض مقارنة موجزة بين واقع خطبة الجمعة اليوم وبين طريق الهدى في أمرها:

أ- أكثر خطباء المسلمين اليوم يعطلون المقصود الظاهر من مشروعية خطبة الجمعة، ويحولونها إلى ملحق لنشرات الأخبار مبني على الظن والفكر، وخطبة الجمعة عبادة وجزء من الصلاة لا تقوم الصلاة إلا بها - في رأي غالبية الفقهاء - وإذن فلا بد من الرجوع في أمرها إلى الوحي واليقين وتقييدها بسنة رسول الله ﷺ.

ويزيد انحراف كثير من خطباء اليوم فتتحول خطبهم إلى إثارة للفتنة بين الراعي والرعية بالتهيج والمبالغة والغيبة أو البهتان لا يستقيم معها حال دينية ولا دنيوية في مخالفة صريحة للسياسة الشرعية من النصوص الصريحة في التحذير

من الفتنة .

وأكثر المسلمين لا يحضرون من دروس الدين غير خطبة الجمعة فإذا تحولت من العلم الشرعي إلى الفكر ومن الإصلاح إلى الإفساد فقدوا الفرصة الوحيدة التي أنعم الله بها عليهم لبيان ما يجب أن يعلموه من دينهم ، وللإجتماع على الخير والتعاون على البر والتقوى .

ب- وكانت خطب رسول الله ﷺ وصحابته وتابعيه لا تخرج عن الثوابت الشرعية : الإيمان والموت والحساب والجنة والنار ، وتعليم الأحكام الشرعية في الاعتقاد والعبادة والمعاملة ، والدعاء ، والتحذير مما يضاد ذلك من الشرك والبدعة والغفلة عن ذكر الله .

ولم تتضمن خطبة واحدة من خطب النبي ﷺ - يوم الجمعة - ولا خطب خلفائه وصحابته ولا خطب الأئمة في القرون الثلاثة ، شيئاً عن الحوادث والطوارئ على عظم ما مرّ بهم منها ، ولا عن الغزوات ولا الهجرة ولا الإسراء والمعراج ولا المولد ، ولا احتفل بمناسبتها يوم ذكراها بالكلام عنها في الخطبة . كل ذلك من ابتداء خطباء القرن الأخير ومفكره ، لم يكن ذلك من هدي القدوة من هذه الأمة حتى احتل الفكر الإسلامي مكان العلم الشرعي واحتل المفكرون الإسلاميون مكان أئمة العلم الشرعي .

ج- وإذا أكدت أن العبادة لا تثبت ولا تصح إلا وفق النصوص المعصومة ؛

فهذا ما يحضرني منها :

١- قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا

إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴿الجمعة: ٩﴾، والذكر في اللغة والشرع: الصلاة والطاعة وقراءة القرآن وتسبيح الله وتمجيده والثناء عليه [يمكن الرجوع إلى تاج العروس وإلى التفسير الأولي].

٢- وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كنت أصلي مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً، يقرأ القرآن ويذكر الناس). [رواه مسلم].

٣- وعن أبي وائل رضي الله عنه، عن عمار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة» [رواه مسلم].

٤- وعن أم هشام بنت حارثة رضي الله عنها قالت: (لقد كان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة، ما أخذت ﴿قَالَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ﴾ إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس) [رواه مسلم].

٥- ومن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب يقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين» ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها؛ وكل بدعة ضلالة»، ثم يقول: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالا فليأهله، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ».

٦- وثبت من عدة طرق عن عدد من كبار الصحابة وفقهائهم رضي الله عنهم نص خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يخطب بها ويعلمها أصحابه: «إن الحمد لله

نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» ثم يتلو آيات الأمر بالتقوى من سورة آل عمران والنساء والأحزاب.

د- ومما يحضرني من أقوال فقهاء الأمة في بيان النصوص ما يلي :

١- قال الشافعي رحمه الله [الام ١/٢٠٣] : (وأحب أن يخطب الإمام] بحمد الله، والصلاة على رسول الله ﷺ، والعظة والقراءة، ولا يزيد على ذلك).

٢- وقال النووي الشافعي رحمه الله [المجموع ٤/٣٤٩] : (ومقصود الخطبة الوعظ).

٣- وقال الكاساني الحنفي رحمه الله [بدائع الصنائع ١/٢٦٣] : (روي عن الحسن بن زياد عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال : ينبغي أن يخطب [الإمام] خطبة خفيفة يفتتح فيها بحمد الله تعالى ويثني عليه ويتشهد ويصلي على النبي ﷺ ويعظ ويذكر ويقرأ سورة، ثم يجلس جلسة خفيفة، ثم يقوم فيخطب خطبة أخرى يحمده الله تعالى ويثني عليه ويصلي على النبي ﷺ ويدعو للمؤمنين والمؤمنات).

٤- وقال القرطبي المالكي رحمه الله [الجامع لأحكام القرآن ١٨/١٠٧] : (ما كان من ذكر رسول الله ﷺ والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله).

٥- وقال ابن قدامة الحنبلي رحمه الله [المغني ٢/٣٠٤] نقلاً عن الخرقي رحمه

الله : (فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقرأ ووعظ). وقال [٣٠٥/٢]:
(وقال القاضي : تجب [الموعظة] في الخطبتين لأنها المقصود من الخطبة فلم يجز
الإخلال بها).

٦- وقال ابن القيم رحمه الله [زاد المعاد، محقق ١/٤٢٣] عن خطب رسول الله ﷺ
يوم الجمعة : (إنما هي تقرير لأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه
وذكر الجنة والنار وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته وما أعد الله لأعدائه وأهل
معصيته).

وقال رحمه الله [١/٤٢٤]: (ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه
وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول
الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله، وذكر آلائه التي تحببه إلى خلقه وأيامه التي
تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره).

٧- وقال الصنعاني رحمه الله [سبل السلام ٢/٤٩]: (وكان [النبي ﷺ] يعلم
أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه وأمرهم وينهاهم . . . ويذكر معالم
الشرائع في الخطبة، والجنة والنار والمعاد، ويأمر بتقوى الله، ويحذر من غضبه
ويرغب في موجبات رضاه).

وقال رحمه الله : [٢/٥٠]: (وكانت محافظته ﷺ على الخطبة بسورة ق
اختياراً منه لما هو أحسن في الوعظ والتذكير، وفيه دلالة على ترديد الوعظ في
الخطبة).

٨- وقال سيد سابق [فقه السنة ١/٣٠٩]: (وفي الروضة الندية : ثم اعلم أن الخطبة

المشروعة هي ما كان يعتاده ﷺ من ترغيب الناس وترهيبهم ، فهذا في الحقيقة روح الخطبة الذي لأجله شرعت).

وليس في نصوص الوحي ولا فقه أئمة القرون المفضلة لها ما يجيز الاعتداء على منهج النبوة - في هذه العبادة العظيمة - والانحراف عنه ، قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الاحزاب : ٢١] .

وصلّى الله وسلّم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومتّبعي سنته .



زيادات على الشرع

من أعظم أسباب الانحراف عن منهاج الشريعة تحكيم العاطفة، والميل إلى التقليد، وهجر النصوص وفقه الأئمة في الدين، إذا سيطر العجز والكسل على المتدين، ومن وراء ذلك تسويل النفس وتزيين الشيطان. وإلى القارئ الكريم بعض ما زاده المسلمون على شريعة الله:

١- التصوف (فلسفته ودروشته): وقد نقله أوائل المبتدعة من التصوف الهندي كما يرى البيروني - ت ٤٤٠ - وهو أحرى الباحثين بالوصول إلى حقيقة الأمر بعد دراسته المستفيضة للفلسفة الهندية واليونانية، وتتبعه للتاريخ، وذهنه الرياضي، إضافة إلى تأثر مبتدعة المسلمين برهبة النصاري. وأقل مظاهر التصوف المادية: المبالغة في محاربة النفس وحرمانها. وأسوأ شطحات التصوف الفكرية: ادعاء الفناء في الله، والاتحاد به، والوحدة معه.

٢- ما سمي زوراً بالعمارة الإسلامية في بناء المساجد: ومنه القباب والأقواس، والزخرفة بالزجاج الملون، والثريات الكهربائية للزينة، وكل ذلك مأخوذ من التقاليد المعمارية الكنسية وبخاصة البيزنطية (قبل الإسلام بثلاثمائة وخمسين سنة).

٣- مسبحة الخرز لإحصاء الذكر: وتتفق الموسوعات التي رجعت إليها في منشأ هذا التقليد إلى أن أول من ابتدعها البراهمة الوثنيون وعدد خرزاتها (١٠٢)، وأخذها البوذيون بعد انفصالهم عن الهندوسية منذ (٢٥٠٠) سنة، ثم أخذها النصاري في القرن الثالث الميلادي وعدد خرزاتها (٥٥) تنتهي كل (١٠) منها بخرزة كبيرة. ويرمز طول المسبحة عند الهنادكة اليوم - كما هو الحال عند

متصوفة المسلمين - إلى تقدم المرتبة في السلم الديني .

٤- الذكر القلبي : ابتدعه الهندوس واحتفظت به البوذية بعد انفصالها عنهم ، ثم التقطه مبتدعة المسلمين الأعاجم ثم العرب . أما في شرع الله فلا يكون الذكر - التلاوة والتسبيح والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي ﷺ - ديناً حتى يتحرك به اللسان والشفتان : « لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله » ، « أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفثاه » وميزانه قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا ﴾ [الإسراء : ١١٠] وكان الصحابة يسمعون تلاوة النبي ﷺ وذكره في كل صلاة .

٥- التمايل عند الذكر (وبخاصة تلاوة القرآن) أخذه مبتدعة المسلمين من اليهود الذين أخذوه من الوثنية البرهمية ، ولا يزال الجميع متلبسين به .

٦- اللباس الديني المميز : اقتبسها مبتدعة المسلمين في العهد التركي من النصارى ، وهؤلاء من البوذيين ، وإن تميز النصارى بالجبة السوداء للرجال والنساء ، والبوذيون بالرداء الأصفر ، والمسلمون بالطربوش والعمامة والجبة الملونة للرجال .

٧- الرمز بالهلال للإسلام : ابتدعه جهلة المسلمين في العهود الفاطمية والمملوكية والتركية تقليداً لرمز النصارى بالصليب واليهود بالنجمة والشمعدان . وأول ظهوره في الفن المعماري الساساني الفارسي - طبقاً لما ذكره د . محمد القيسي في (المساجد) ص ٢٦ عزوا لكتاب (العمارة في الإسلام) د . كمال سامح ص ٢٦ - ويستعمله النصارى اليوم في بعض رموزهم الدينية أيضاً .

٨- التعبد بترك التجارة يوم الجمعة : أخذه مبتدعة المسلمين في القرن الأخير من ابتداء النصارى ترك العمل يوم الأحد ، وهؤلاء أخذوه من تحريم اليهود العمل يوم السبت ، ولم يشرع الله ترك العمل إلا وقت الصلاة وخطبة الجمعة ،

واصطفى الله دولة التوحيد والسنة للتميز بتنفيذه في جميع أوقات الصلاة.

٩- صخرة بيت المقدس : يخلط أكثر المسلمين اليوم بينها وبين مصلى المسجد الأقصى ؛ لأنها التي تظهر في الصور، ويُصرف لها التعظيم والقداسة، وتنسج حولها الأساطير تقليداً لليهود، وتبنى عليها القبة العظيمة.

يقول ابن تيمية رحمه الله (ت٧٢٨) [في الفتاوى ج٢٧، ص١٢ و١٣ و١٣٥]: (لم يصلّ عندها عمر رضي الله عنه ولم يأتها عبدالله بن عمر رضي الله عنه عندما زارا المسجد الأقصى، ولا عظمها أحد من الصحابة أو التابعين أو أئمة الدين، وإنما بنى عليها القبة عبد الملك بن مروان رحمه الله لصرف الناس عن الاجتماع بعبد الله بن الزبير رضي الله عنه في الحج، وهي قبله منسوخة مثلها مثل يوم السبت كان عيداً لليهود فنسخ، ولا يجوز أن يخصه [أو يخصها] المسلمون بعبادة).

١٠- عزل النساء في المساجد بحائط أو ساتر لا يرين الإمام ولا من وراءه، وهذا من تنطع المتأخرين في هذا القرن.

١٢- ومثله عزل القرآن في دار القرآن.

١١- ومثله نقل الإقامة والصلاة والخطبة بمكبرات الصوت دون ضرورة.

والخير في الاتباع والشر في الابتداع ولو هوته النفوس وصلحت النيات.

وصلّى الله وسلم على محمد وآل محمد.



شرر التكفير والهجرة والثورة من كتب سيد قطب

أ- نقلت جريدة الشرق الأوسط في عددها ٨٤٠٧ بتاريخ ٤/١٢/٢٠٠١م الموافق ١٩/٩/١٤٢٢هـ في الحلقة الثالثة مما وُصف بالوصية الأخيرة من مذكرات د. أيمن الظواهري القائد الثاني، - أو الأول - لتنظيم القاعدة: (أن سيد قطب هو الذي وضع دستور [التكفيريين الجهاديين] في كتابه الديناميت معالم في الطريق، وأن فكر سيد هو [وحده] مصدر الإحياء الأصولي، وأن كتابه العدالة الاجتماعية في الإسلام يعد أهم إنتاج عقلي وفكري للتيارات الأصولية، وأن فكر سيد كان شرارة البدء في إشعال الثورة [التي وصفها بالإسلامية] ضد [من سماهم] أعداء الإسلام في الداخل والخارج والتي مازالت فصولها الدامية تتجدد يوماً بعد يوم).

وأشهد لقد صدق أيمن الظواهري في هذا الإدعاء فلم يتجاوز الحقيقة والواقع، وفيما يلي برهان ذلك من فكر سيد قطب ونقده من الفقه في الدين بعامة، وبخاصة من فقه واحد من العلماء المحققين المعجبين بجانب من جوانب هذا الفكر الموصوف بالأصولي:

(١) يقول سيد قطب في كتابه (معالم في الطريق) ص ١٠١ - الطبعة ١٠، دار الشروق التي خصّها ورثة سيد تجاوز الله عنه وعنهم بما يصفونه الطبعة الشرعية: (ويدخل في إطار المجتمع الجاهلي [الكافر] تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة... لا لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله، ولكنها تدخل في هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها).

ولا أعرف مسلماً - قبل سيد قطب تجاوز الله عنا وعنه - كفر من يعتقد بالوهمية الله وحده ويقدم الشعائر التعبدية لله وحده ، لأنه لا يدين الله وحده بتنظيم حياته . وتنظيم الحياة - خارج حدود الاعتقاد القلبي وأعمال الجوارح التعبدية - يغلب عليه الإباحة ولا يتجاوز - فيما ثبت الأمر به أو النهي عنه - حدود السنن والنوافل أو المكروهات والصغائر .

ولا يُعرفُ التَّكفير بالمعاصي إلا عن الخوارج ومن نهج نهجهم ، ويرأ منه فقهاء الأمة المعتدّ بهم في الماضي والحاضر وإلى أن تقوم الساعة .

(٢) وتبعاً لهذا الفكر الموصوف زوراً بالإسلامي المنحرف عن الوحي والفقه فيه من أهله مجّد سيد قطب عفا الله عنا وعنه الثورة على عثمان الخليفة الراشد المهديّ رضي الله عنه وأرضاه ، ووصفها في كتابه : (العدالة الاجتماعية في الإسلام) ص ١٦١ ط . دار الشروق ، عام ١٤١٥ هـ ، بأنها (فورة من روح الإسلام) ، ووصف الثوار عليه بأنهم (الذين أُشْرِيتْ نفوسهم روح الدين إنكاراً وتآثماً) ، وأسقط خلافة عثمان رضي الله عنه ص ١٧٢ فوصف عهده بأنه (كان فجوة بين خلافة الشيخين وبين خلافة عليّ) رضي الله عنهم أجمعين خلافاً لجميع فقهاء أهل السنة والجماعة ، وفي ص ١٧٥ ، ضرب مثلاً للتضخم الفاحش في الثروات الذي ظنه (يحطم الأسس التي جاء هذا الدين ليقيمها بين الناس) ، ومثلاً للذين (جرفتهم مطامع الدنيا) ، برواية ساقطة عن أخباري منحرف بما تركه خمسة من المبشرين بالجنة من المال والخيل والإماء والدّور .

وخصّ معاوية وابن العاص رضي الله عنهما في كتابه (كتب وشخصيات ، ص ٢٤٢ ، ط . دار الشروق) ، بأوصاف (الكذب والفسق والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذم) ، وهما من كبار الصحابة رواة الأحاديث النبوية .

قال الشيخ د. بكر أبو زيد عضو هيئة كبار العلماء في كتابه: تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص ٢٦، ط. دار العاصمة: (قال أبو زرعة الرّازي رحمه الله في فتح المغيث ٩٤/٤: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق، وذلك أنّ القرآن حق والرسول حق، وما جاء به حق؛ وإنما أدّى إلينا ذلك كله الصحابة... فالقدح بالحامل يفضي إلى القدح بما يحمله من رسالة البلاغ لدين الله وشرعه. ولهذا أطبق العلماء رحمهم الله على أن من أسباب الإلحاد القدح بالعلماء).

(٣) وقال سيد قطب عفا الله عنا وعنه في كتابه: (في ظلال القرآن) ص ١٠٥٧، ط. دار الشروق: (ارتدّت البشرية إلى عبادة العباد وجور الأديان وإن ظلّ فريق منها يردد على المآذن لا إله إلا الله).

وفي ص ٢٠٣٣ جعل من الشرك الواضح الظاهر - في مقابل الشرك الخفيّ - (الدينونة [لغير الله]، في تقليد من التّقاليد كاتخاذ أعياد ومواسم يشرعها الناس ولم يشرعها الله والدينونة في زيّ من الأزياء يخالف ما أمر الله به من الستر ويكشف أو يحدد العورات التي نصّت شريعة الله أن تستر). والتقليد مرض منتشر في هذه الأمة وقع فيه سيد كما وقع فيه غيره، وما كان منه معصية فلا يتجاوز الصّغيرة (فيما عدى الاعتقاد والعبادة والمنصوص عليه من الكبائر والموبقات) ولا يكفر المسلم به.

وقال سيد في كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) ص ١٨٥، ط. دار الشروق: (ونحن نعلم أن الحياة الإسلامية على هذا النحو قد توقفت منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض، وأن وجود الإسلام ذاته من ثمّ قد توقف كذلك)، فحكم بكفر جميع المسلمين في كل مكان ومنذ فترة طويلة بمن فيهم

(أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله بلا مدلول ولا واقع)، في الظلال، ص ١٠٥٧.

وفي ص ٢١٦ من كتابه: (العدالة الاجتماعية في الإسلام) ط. دار الشروق بشر الذين يكفرون كل المسلمين وينفون وجود الإسلام بأنهم سائرون على صراط الله وهداه، وحكم على الذين (يظنون لحظة واحدة أن الإسلام قائم وأن الذين يدعون أنهم مسلمون ويتسمون بأسماء المسلمين هم فعلاً مسلمون؛ بالسير وراء سراب كاذب تلوح فيه عمائم تحرف الكلم عن مواضعه وترفع راية الإسلام على مساجد الضرار).

قال الشيخ د. بكر أبو زيد عضو هيئة كبار العلماء في كتابه: (درء الفتنة عن أهل السنة) ص ٦١، ط ٢، دار العاصمة: (لا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر بالعبد أن يصير كافراً الكفر المطلق الناقل من الملة حتى يقوم به أصل الكفر بناقض من نواقض الإسلام؛ فالواجب وضع النصوص في مواضعها وتفسيرها حسب المراد منها من العلماء العاملين الراسخين... وعلى الناصح لنفسه أن يحسن بخطورة الأمر ودقته وأن يقف عند حدّه).

وبعد أن أورد هذا العالم المحقق عدداً من نصوص الكتاب والسنة في (التحذير الشديد والنهي الأكيد عن سوء الظن بالمسلم فضلاً عن النيل منه فكيف بتكفيره)، قال شفاه الله وزاده توفيقاً: (فهذه النصوص وغيرها فيها الوعيد الشديد لمن كفر أحداً من المسلمين وليس هو كذلك، وهذا - والله أعلم - لما في إطلاق الكفر بغير حق على المؤمن من الطعن في نفس الإيمان... وهذه الحالة الكريمة والحصانة العظيمة للمسلمين في أعراضهم وأديانهم من أصول الاعتقاد في دين الإسلام) ص ٦٥.

(٤) ونتيجة لتلك المقدمة المسرفة في تكفير المسلمين، وبعد أن وصف مساجدهم فيما سبق بمساجد الضّرار؛ وصف مساجد المسلمين بمعابد الجاهلية في كتابه (في ظلال القرآن)، ص ١٨١٦، ط. دار الشروق، فقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧]: (وهنا يرشدنا الله إلى اعتزال معابد الجاهلية واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد تحسّ فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي).

وإضافة إلى أمره عصابته المسلمة لفكره باعتزال مساجد المسلمين والصلاة معهم اعتزالاً ظاهراً حَكَمَ في الظلال، ص ٢١٢٢: (أنه لا نجاة للعصبة المسلمة في كل أرض من أن يقع عليها العذاب إلا بأن تنفصل عقيدياً وشعورياً ومنهج حياة عن أهل الجاهلية من قومها حتى يأذن الله لها بقيام دار إسلام تعتصم بها، وإلا أن تشعر شعوراً كاملاً بأنها هي الأمة المسلمة وأن ما حولها ومن حولها ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه جاهلية وأهل جاهلية).

وصدّق سيد قطب على أتباعه - تجاوز الله عن الجميع - فِكْرَهُ فأسلموا له قيادهم، وانفصلوا عقيدياً وشعورياً عن جماعة المسلمين في بلادهم، ثم اعتزلوهم ظاهراً وتفرقوا في بلاد النصراني تحت ظلال الحكم العلماني، وفي بلاد المسلمين المنحرفين عن الاعتقاد والاتباع الصحيح وبخاصة أفغانستان طالبان حيث يُتَقَرَّب إلى الله بالشرك والبدعة عند مقامات ومزارات المتمرّين إلى السنة في قندهار وغيرها وبما دون ذلك من أداء الواجبات - وبخاصة الحجاب - وترك المكروهات، ويُتَقَرَّب إلى الله بمحاربة أوثان البوذيين النَّائِيَّة، والشيعة في مزار شريف.

رد الله الجميع إلى الوحي والفقه فيه وأعادهم من شطحات الفكر والهوى.



أسطورة (وامعتصماه)

التاريخ لا يصلح مرجعاً في أمور الشريعة ، لأن التاريخ مبني على ظن كاتبه وعاطفته ، والشريعة مبنية على يقين الوحي في الكتاب والسنة وفقه الأئمة الأولين في نصوصه ، ولكن النفس البشرية - إلا ما رحم ربي - تميل إلى الباطل ويثقل عليها الحق ؛ وقد استجاب أكثر خطباء ووعاظ القصص والفكر والحركة - في العقود الثلاثة الأخيرة - لدواعي الهوى والعاطفة من النفس ، ودوافع النفث والتسويل من الشيطان ؛ فحولوا أكثر دروس العلم الشرعي وحلّق الذكر وخطب الجمعة إلى أساطير من كتب التاريخ يحسبها الظمآن ماء حتى إذا جاءها وجدها ألواناً من السراب تبعده عن الماء وتصده عن الصراط المستقيم إليه .

ومن هذه الأساطير أسطورة ألهمت حماس الشباب وحناجرهم وعواطفهم وأضاعت شرع الله لخطبة الجمعة التي فرضها الله مرة في الأسبوع لتعليم المسلمين أحكام الإسلام وتذكيرهم بأيام الله وآلائه وإعدادهم للقاءه وحسابه وجزائه .

مجمل الأسطورة : أن علجاً من الروم أهان امرأة مسلمة فصرخت : وامعتصماه ؛ فحركت صرختها غيرة المعتصم وغضبه فأوطأ جيش المسلمين أرض الروم أخذاً بثأر المرأة التي استنجدت به . وهدف الأسطورة تقديم مثل صالح قدوة لقادة المسلمين لتعود للإسلام عزته .

قد يكون جزء من الروايات - التي يتفنن وعاظ وخطباء الفكر والقصص في نحتها والتغني بها - صحيحاً ، ولكن ذلك لا يجعل المعتصم - تجاوز الله عنا وعنه - قدوة صالحة للراعي المسلم ولا للرعية المسلمة للأسباب التالية :

١- لم يُذكر المعتصم - تجاوز الله عنا وعنه - بالعلم الشرعي ، بل قالت عنه كتب

الأعلام أنه كره العلم في صغره ومات شبه أُمي . [انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، والأعلام للزركلي] .

٢- غزو المعتصم في بلاد الروم وفتح عمورية - كما يذكر التاريخ - ليس من القتال في سبيل الله إذا صدق كتاب التاريخ في الرواية؛ فجيش المسلمين وأنفسهم وأموالهم لا تعرض للأخطار والأهوال غضباً ولا من أجل الحمية ولا لإظهار الشجاعة، وإنما يكون القتال لغرض واحد: أن تكون كلمة الله هي العليا، قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] . وقيل لرسول الله ﷺ: الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية، وفي رواية: ويقاتل غضباً، فمن في سبيل الله؟ فقال النبي ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» [متفق عليه] .

٣- لو كان مجرد الغزو والفتح مثلاً يقتدى به لكان يزيد تجاوز الله عنا وعنه أولى من المعتصم بأن ينصّ قدوة صالحة؛ فهو من كبار الطبقة الأولى من التابعين، وثاني ولاية المسلمين بعد عصر الخلفاء الراشدين، عهد إليه بالولاية والده معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما - أحد كبار الصحابة ورواة الحديث، واستكتبه رسول الله ﷺ، واستعمله في القيادة والولاية أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين - وفتح الله في عهد يزيد على المسلمين المغرب الأقصى وبخارى وخوارزم، وهو أول من غزا القسطنطينية، وكان أمير جيش المسلمين في هذا الغزو، وكان من بينهم بعض الصحابة مثل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وعنهم أجمعين، وقد ورد الحديث عن ثناء النبي ﷺ على أول جيش يغزوها وعلى أميره . ولكن العلماء المحققين يقفون من أمثال يزيد والمعتصم موقفاً وسطاً، فهم لا يحبونهم ولا يسبونهم، تجاوز الله عن من مات لا يشرك بالله

شيئاً.

٤- المعتصم - تجاوز الله عنا وعنه - أحدث من الفتنة في الدين شراً مما نسب إلى يزيد من القتل في المدينة النبوية ، قال الله تعالى : ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] ، وما افتراه عليه بعض فرق الضلال من الأمر بقتل الحسين رضي الله عنه ؛ فقد امتحن المعتصم علماء الإسلام ، وبخاصة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بفتنة خلّق القرآن التي بدأت في عهد أخيه المأمون واستمرت في عهد ابنه الواثق ، حتى جاء ابنه المتوكل فأزالها وانتصر للسنة ولإمام السنة وأخرجه من سجن الثلاثة - تجاوز الله عنا وعنهم - ورفعته إلى المقام الذي يليق به في صدر مجلس المُلْك والحكمة ؛ جزاهما الله عن الإسلام والمسلمين خير جزائه .

٥- إذا سلّمنا بما أورده المؤرخون عن هذا كله ، فكيف يُقَرُّ من وهبه الله نعمة الإسلام والعقل : أن انتصار ولي أمر المسلمين لرواية ظنية عن امرأة مجهولة الحال أرجح في ميزان العدل والإيمان من انتصاره للسنة ومنهاج السنة وأئمة السنة ؟ وهو إنما انتصر لاسمه لا لاسم الله ، والمرأة استغاثت به لا بالله .

لقد أوصل الفكر والحركة - بقلة نصيبهما من العلم والتثبت - أكثر شباب الصحوة في العقود الأخيرة إلى مثل ما أوصل الجهل والتقليد من قبلهم إليه من الضلال عن منهاج النبوة في الدين والدعوة ؛ فتغلب الهدف الأدنى على الأعلى ، والمهم - بل غير المهم - على الأهم ، في علمهم وعملهم وفي خطبهم ودعوتهم وكفاحهم . وإن نظرة صادقة واستقراء محققاً للقضايا التي تحرك لها دعاة الفكر والحركة وأتباعهم ، وبذلوا فيها أموال المسلمين وجهودهم وحماسهم - بل ودماءهم - في العقدين الأخيرين ؛ لتبين أن المحرك الأول والأخير : كسب الأرض باسم الدين لا الدين نفسه الذي لا يكاد أكثر المسلمين يعرف وجه الحق

فيه، ولم تكن تلك الأرض بأوثانها أو بدعها أو إلحادها تحرك ساكناً من القلوب والأبدان والألسن والهمم والأقلام من قبل أن يثور الخلاف على التراب والولاية عليه.

ردّ الله المسلمين جميعاً إلى دينهم رداً جميلاً، وصلى الله وسلم على محمد وآل محمد.



التقرب إلى الله بمعصيته

قبل بضع سنوات عُرض عليّ كتاب باللغة الإنكليزية، عنوانه: (الإنذار الأخير من الله)، كتبه أخ من ألمانيا، تحوّل من النصرانية إلى الإسلام، ومن اسم (مارتن هاكلمر) إلى (محمد البكري)، بقصد الإعانة على طبعه، وكان هدفه - فيما ظهر لي - خدمة دين الإسلام بمحاولة إثبات بطلان الأديان قبله وبخاصة اليهودية.

واعتذرت عن الإعانة على نشره، بل ونصحت من عرضه عليّ بعدم نشره من أيّ طريق آخر للأسباب التالية:

(١) الظن والعاطفة لا يغنيان من اليقين والعلم شيئاً، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ [النجم: ٢٨]، وبالظن والعاطفة ضلّ من قبلنا، وليس لنا أن نكون مثلهم.

(٢) في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من يقين الوحي المنزل وفي الفقه فيهما ما يغنينا عن الفكر في هذا الأمر وفي غيره من أمور الدين.

(٣) أمرنا الله في محكم كتابه بالإحسان في مجادلة أهل الكتاب خاصة وغيرهم عامّة فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [النكوت: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

(٤) نهانا الله أن نسب آلهة المشركين إذا كان هذا يدفعهم لسبّ الله ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] .

(٥) اتهام جزء معيّن من التوراة أو الإنجيل بالكذب أو الركاكة أو التناقض لم يبينه الكتاب أو السنة : حكم بالظن والعاطفة ، ومجادلة بالسوء ، ومعصية لله تعالى ومخالفة لشرعه ؛ لا يفضي إلا إلى تأليب أهل الكتاب للرد بالمثل ومقابلة الاتهام بالاتهام والسب بالسب ، كما حدث فعلاً في السنوات الأخيرة ، نتيجة لمناظرات (ديدات) العاطفية .

(٦) قد يكون النص أو ترجمته لم يحرفاً وإنما وقع الخطأ في التأويل ، كما وقع من بعض المنتسبين إلى الإسلام (أفراداً وفرقاً) من تحريف كلام الله وكلام رسوله عن مواضعه بسبب الجهل أو اعوجاج الفكر أو الغلو .

(٧) ومثالاً على منهاج البحث في هذا الكتاب ، وسبباً عملياً لموقفي منه أشير هنا إلى ما ورد في الصفحتين ٨-٢٢٨ و ٨-٢٢٩ ، من محاولة الكاتب تفنيد اليهودية والنصرانية بمثل :

١- دعوى (أن اليهود ليسوا من سلالة يعقوب) ! ثم ماذا؟

٢- بطلان (دعوى اليهود مجيء المخلص (موشياخ) ، والنصارى (مسيح) ، وثبات مجيء المهدي (بل المسيح أيضاً) عند المسلمين) ! والدعوى صحيحة مطلقاً .

٣- وثالثة الأثافي : محاولة إبطال (زعم اليهود وجود قبر إبراهيم عليه السلام في مدينة (الخليل) بدليل أن التوراة تنص على أن إبراهيم اشترى مدفنه في

(ماكفلاه) وتبعد ثلاثة كيلو مترات تقريباً عن مدينة (الخليل)، وأن مبنى مسجد الخليل (الذي يضم قبور أربعة من أنبياء بني إسرائيل وزوجاتهم) شُيِّد بعد موت إبراهيم عليه السلام بألفي عام).

ومع أنني أؤيد الكاتب في احتمال وجود الخطأ في تحديد مدفن إبراهيم عليه السلام وسائر الأنبياء والمرسلين (عدا نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، ومدافن الحواريين والصحابية والأولياء (عدا أبي بكر وعمر رضي الله عنهما)؛ فإنني لا أجزئ له ولا لنفسه مقابلة الظن بالظن؛ وحجة التوراة من الظن.

ولكن أكبر وزر وجود الأنصاب في مسجد الخليل يحمله المنتسبون إلى الإسلام الذين بنوا سبعة أضرحة بعد أن تسلّم الأيوبيون مبنى الكنيسة التي شيدها الصليبيون على ما يدّعي اليهود أنها قبور أنبيائهم، وفي الصفحة الأخيرة بيان بموقعها من المسجد، وكانت آخر وصايا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم التحذير من ذلك ولعن فاعله: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، قالت عائشة رضي الله عنها: يحذر مثل الذي صنعوا. [رواه البخاري ومسلم].

وكثير من المنتسبين للإسلام اليوم يتبعون سنن اليهود والنصارى في هذا المنكر الشنيع الذي اتفقت كل الرسائل (بأمر الله) على محاربته، وصدق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضبّ لسلكتموه» قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟». أي: من غيرهم؟ ولم يتوقفوا عند مجرد اتباع السنن السيئة لمن سبق بل

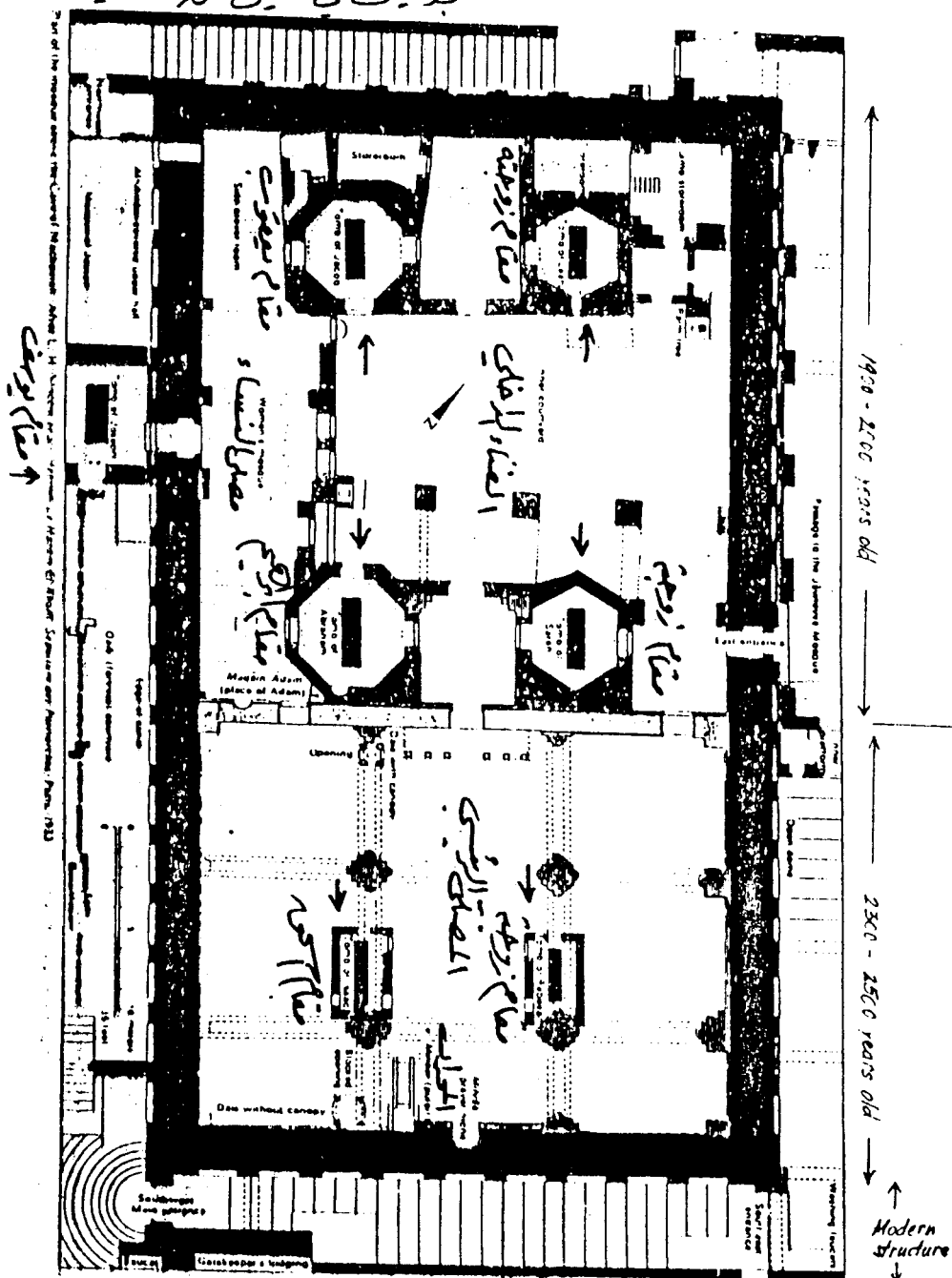
نافسوهم عليها وحاربوهم للاستئثار بها .

وهكذا اجتمع كثير من المنتسبين لليهودية والنصرانية والإسلام على التقرب
لله بمعصيته في الدين وفي الدعوة إليه .

اللهم رد الجميع إلى دينك الحق رداً جميلاً ، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين .

■ ■ ■ ■ ■

The Mosque of Abraham in Hebron - Old City
مسجد الخليل في الخليل قديم



أرض شهاب الدين

يدور جدل في فلسطين بين المسلمين والنصارى حول أرض عُرفت باسم أرض شهاب الدين في الناصرة.

وشهاب الدين هو اسم المقام - أو الوثن - الموجود في هذه الأرض، وكانت آخر وصايا رسول الله ﷺ التحذير من بناء المساجد على قبور الصالحين، وهي فتنة الشيطان لليهود والنصارى من قبل، بل هي فتنة الشيطان للبشر منذ قوم نوح. فقد أورد البخاري في صحيحه عن ابن عباس في أوثان قوم نوح: ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، قال: (أولئك أسماء رجال صالحين، لما ماتوا أوحى الشيطان إلى من بعدهم أن ابنوا في مجالسهم أنصاباً). وأورد البخاري ومسلم في صحيحهما أن رسول الله ﷺ قال في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، تحذيراً من هذا العمل الشنيع.

وعلى هذا فلا يجوز بناء مسجد على أرض شهاب الدين، ولو بني فلا يجوز فيه الصلاة فرضاً ولا نفلاً لأنه لم يؤسس على التقوى من أول يوم، وقد حرّم الله على نبيه الصلاة في مسجد الضرار لهذا السبب: فساد النية عند البناء، ومسجد شهاب الدين - ومثله مسجد الخليل في الخليل - أسوأ من مسجد الضرار لأنهما يجمعان إلى فساد النية نُصباً على القبور.

وصلّى الله وسلّم على محمد وآله وصحبه ومتّبعي سنّته.



من يبني الحضارة؟

(١)

مصطلح (الحضارة) في اللغة العربية الدارجة مأخوذ من أصله الأوروبي وبخاصة الإنكليزي (Civilisation)، ويختص في الأصل والتقليد بالجانب المدني - وفي الأغلب - المادي من الحياة.

وفي العصور القديمة كان الوثنيون - البراهمة في الهند، والفراعنة في مصر، والأنباط في جزيرة العرب، والأكاسرة في فارس، والملوك الفلاسفة في اليونان، والقيصرة في أرض الرومان - هم بناء الحضارة بأوامر رئاسية وتسخير شعبي.

ثم جاءت المرحلة الحاضرة من مراحل التطور الحضاري مع بداية ما سمي عصر النهضة أو الثورة الصناعية في أوروبا، وفي ما انتقلت إليه من مستعمراتها وبخاصة: أمريكا الشمالية.

وانتهى عهد التسخير المعلن ودكتاتورية الفرد، ليحل محلها عهد الحرية الشخصية، وسيطرة الفكر والحزب، وتوجيه وسائل الإعلام. وكان أبرز مقومات الحضارة الجديدة:

١- البحث والفكر والابتكار في سبيل المال أو الشهرة أو المنفعة.

٢- الصبر والمثابرة والإصرار.

٣- التطوع بالجهد أو الوقت أو المال، أو بها جميعاً.

٤- التعاون لتحقيق هدف قريب أو بعيد لمصلحة عامة.

وتجتمع هذه الأسس - أو أكثرها - في المثالين التاليين :

أولاً: في إحدى القرى الفرنسية، صرف ساعي البريد (٣٣) سنة من حياته وفراغه وفائض راتبه البسيط في بناء صرح كبير سمي بالمعبد الهندي لطرازه المعماري واشتماله على معبد وكنيسة ومسجد وبعد عشرات السنين اعترفت الحكومة الفرنسية بإنجازه فتم ضم هذا الصرح إلى معالم الحضارة الفرنسية .

ثانياً: في التلال السود من ولاية جنوب داكوتا الأمريكية قضى نحات أمريكي من أصل بولندي (٤٣) سنة من عمره في نحت جبل ؛ تذكراً لزعيم هندي أحمر قاوم - حتى مات - استيلاء المهاجرين الأوروبيين - ومنهم أجداد هذا النحات - على أرض قومه . وبعد موت النحات - وبوصية منه - استأنفت زوجته وسبعة من أولاده محاولة تحقيق حلمه . وبعض تفاصيل هذا المشروع تبين مدى الجهد والصبر والبذل والتعاون الذي يحتاجه بناء الحضارة المادية :

١- احتاجت بداية التنفيذ إلى بناء سلم خشبي يصعد النحات وينزل يومياً درجاته وعددها (٧٤١) درجة، ليعمل وحيداً بلا ماء ولا كهرباء ولا طريق مُعبّد، أكثر من أربعين سنة، حتى أقعده مرض الموت .

٢- بعد خمسين سنة من بدء التنفيذ، يُحتفل في عام ١٤٢٠هـ بإتمام الجزء الأول من المشروع . ولكن موقعه ومخططه ومجسمه قد صار أثراً ورمزاً تُشدّ له رحال السياحة يوم مررت به عام ١٣٩٠هـ قبل ٣٠ عاماً .

٣- أزيلت حتى الآن ثمانية ملايين طن من الحجارة والتراب .

٤- صرفت حتى الآن عشرة ملايين دولار كلها من التبرعات ورسوم الزيارة .

٥- تبرعت مواطنة بستمائة وسبعة وأربعين ألف متر مربع من أجود الأرض الزراعية، وتبرع مواطن بعقار تقدر قيمته بمائتين وخمسين ألف دولار لصالح

المشروع .

٦- أعداد كبيرة من المهندسين والمتعهدين والعمال والفنيين وضعوا أسماءهم على قائمة الانتظار الطويلة للتطوع بمهارتهم وجهدهم وأوقاتهم ، مساهمة في المشروع وتحقيقاً لحكمة محلّية تقول : (اجعل هدفك القمة ، فإنه لا يزال فيها متسع لك) .

وللأسف فإن أيّاً من هذين المثالين لم يخل من رابطة الإرث الحضاري الوثني ، ولكن على مثل هذه الهمم أيضاً قامت آلاف الجامعات والمصحات والمتنزهات والخدمات الأخرى على أكتاف الأفراد لا الدولة . وخير مثال عندي على ذلك أن ٩٠٪ من العاملين في الدفاع المدني في مجموع الولايات المتحدة الأمريكية متطوعون جزئياً أو كلياً .

والآن أين موقع المسلم من هذا كله؟ قطعاً ليس التنافس في الاستهلاك والتقليد النظري أو العملي ، ولا البحث عن الأحلام والخيال والظن والفلسفة ، ولا تعظيم البشر وتخليد الأساطير ، ولا الاعتماد على الإنفاق والإنجاز الحكومي وبذل الوقت والفكر والجهد في محاولة استغلال ذلك لاقتناص أكبر منفعة ذاتية بأقل تضحية للدين أو للإنسانية ، وقتل الفراغ بالإشاعة والغيبة والاحتجاج والشكوى وإلقاء اللوم على غيره . وإذا كان الله قد مَيَّزَ مَنْ كَفَرَ به بالمتاع الدنيوي : ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] . فمن الشرع والعقل الاستفادة من ذلك لتحقيق ما مَيَّزَ الله المسلم به : الدين والدعوة إليه : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [نصرت: ٢٣] ، وعلى هذا فسبب وجوده أسمى من مجرد الشكل والعدد والشهرة ، والمتاع الحيواني : الطعام والنام والنكاح والتسلية . وصلى الله وسلم على محمد وآل محمد .

من يبني الحضارة؟ (قدوة المواطن للمواطن)

(٢)

في القسم الأول من مقال بعنوان : (من يبني الحضارة) ضربت مثلين من الواقع في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية شاهدين على أن المواطن في بلاد الحضارة الغربية الحاضرة هو الذي يبني مظاهر الحضارة المادية والفكرية (لا الدولة) بانجازاته الفردية أو التعاونية من النظريات، والمخترعات، والجامعات، والمستشفيات، والمتاحف، والمتنزهات، ووسائل الإعلام والترفيه ومؤسساتهما. وإن شاركت الدولة المواطن في شيء من ذلك فعلى نفقته وجهده ولفائدة الجميع.

وبالمقارنة يصرف المواطن العربي المسلم أكبر همّه وجهده في البحث عن طريق لانتفاعه هو من وطنه لا لنفعه إياه.

ولكن من العدل والشكر لله ثم لمن يستحق الشكر من عباده الإشادة ببعض الاستثناءات القليلة لهذه القاعدة :

أ- سنّت شركة عبدالعزيز ومحمد العبدالله الجميع سنة حسنة نادرة قبل خمسين سنة بمدّ مياه الشرب إلى كل بيت في (شقراء) وبكل ما يحتاج إليه هذا الهدف من حفر الآبار وتركيب المضخات والأنابيب، جزاهم الله خير الجزاء.

وقبل بضع عشرة سنة تميزت الشركة نفسها مرّة أخرى (بل انفردت حتى اليوم) بكفالة ثمانين من دعاة التوحيد والسنة في الخارج على قائمة مكتب بيت الشيخ ابن باز رحمه الله، إضافة إلى أربعة وثلاثين من دعاة التوحيد والسنة في

مختلف بلاد الشام ومصر ، وأهم من التميز في عدد الدعاة : التميز في الحرص على تمسكهم بمنهاج الوحي والفقه وتحررهم من مناهج الفكر المبتدعة في الدين المفرقة للدين وأهله .

ب - وسن وزير المالية الأول / عبدالله بن سليمان الحمدان رحمه الله سنة مماثلة بمدّ مياه الآبار في عنيزة إلى كل بيت فيها قبل خمسين سنة كذلك .
وعند إنشاء جامعة الملك عبدالعزيز في جدة قدّم ورثته جزءاً كافياً من أراضيهم ومبانيهم لإيواء نواة الجامعة .

ج - وفي السنوات الأخيرة ظهر اتجاه أشمل وأعم للإصلاح بظهور مؤسسات العمل التطوعي التعاوني تجمع بين أموال المحسنين ونشاط العاملين على تحصيلها وصرفها في مصارفها المشروعة ، وكان لها الفضل بعد الله في توجيه المواطنين وتيسير مشاركتهم في أعمال البر والإحسان ، ومن أبرز هذه الأعمال :
(١) بناء المساجد ، وهو أمر سنّه رسول الله ﷺ بقوله وفعله ، ورغب فيه ، وبيّن أن جزاءه بيت في الجنة .

ولضمان الاستفادة منه على الوجه الشرعي وقبوله عند الله يجب الحرص على مطابقة بنائه واستعماله لشرع الله بالتخلّص من بعض المخالفات والبدع التي وسوس بها الشيطان وسوّلت بها النفس الأمارة بالسوء من الزخرفة والإسراف في الحجم والنفقة ، واقتباس رموز العمارة الكنسية التي وصفت زوراً بالإسلامية مثل القباب التي تمنع الاستفادة من السطح والالتزام بزخرفة واستدارة المحاريب التي يغني عنها عند الحاجة أيّ تجويف في قبلة المسجد ، والالتزام برمز الهلال الذي سبق إليه النصاريّ والمجوسن وليس له في شرع الله مكان ، وتعدد المآذن وبخاصة بعد أن توفرت مكبرات الصوت ، والنقوش في الجدران أو السقوف أو

الفراش ولو بكتابة لفظ الجلالة أو أسماء الأنبياء أو الصالحين، والإسراف في استهلاك الكهرباء بإضاءة الثريات الكهربائية لغرض الزينة في يوم الجمعة وشهر رمضان تقليداً للمبتدعة، وتكييف وإضاءة كامل المبنى كل وقت ولو لم يشغل المصلون غير حيز صغير منه، وتخصيص مكان منفصل لقراءة القرآن وآخر لصلاة النساء؛ خلافاً لما كان عليه سلف هذه الأمة في القرون الماضية.

(٢) استقبال الصدقات والأضاحي والكفارات، وكفالة الدعاة والأيتام، وتفتير الصائمين، والأطعمة والملابس والحقائب المدرسية.

(٣) طبع وتوزيع الكتب والرسائل والنشرات الدينية وتعليم القرآن والسنة.

(٤) توعية الجاليات الأجنبية بتنظيم الدروس وتقديم الكتب بلغاتهم.

(٥) رعاية المسجونين وذويهم بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والإعانة على فك أسرهم أو إعانة ذويهم بالمال والمتاع.

(٦) إقامة المخيمات والمنتديات والملتقيات والمهرجانات باسم الدعوة إلى الله، وإن غلب على هذه ما يغلب على القائمين عليها من جنوح إلى التحزب والتعصب للأفراد والمناهج البشرية غير المعصومة، والدعوة بالقصاص والشعر والأمثال والفكاهة، عوضاً عن الوحي والفقہ في نصوصه: منهج النبوة ومنهاج التابعين له.

(٧) وأخيراً بدأت - بفضل الله - تظهر مؤسسات قليلة للدعوة إلى الله على منهاج النبوة بالوسائل العادية والفضائية زادها الله هدىً وعدداً.

وصلّى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه ومتّبعي سنّته.

المشاحة في الاصطلاح

أصدق اصطلاحاتنا اللغوية الحديثة - ردنا الله إلى لغة الكتاب والسنة - قول أحد كتّاب العرب المحدثين: (العرب ظاهرة صوتية)، بمعنى أن نصيبنا القول ونصيب غيرنا العمل. وليت نصيبنا من القول صُرف في ما استخلفنا الله فيه: القرآن والسنة - الوحي اليقيني الذي اختص الله لغتنا به - التزاماً ونشراً، إذا لحزنا الخير بحذافيره، قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]، و﴿القول﴾ هنا خاص بالوحي من الله تعالى كما قال لموسى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الاعراف: ١٤٥]، وقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣]، أما قول البشر فليس علينا استماعه كلّ ولا اتّباعه كله.

ويظهر لي من تخلفنا في الصناعة من قبل ومن بعد، بما في ذلك صناعة علوم القرآن والسنة بل واللغة - فهرسة وطباعة وتقعيداً - وتخلفنا عن أعاجم المسلمين في جمع وتخريج السنة؛ أن الله اختصنا بما عمّ به المسلمين من خدمة الدين بالدعوة إلى الله على بصيرة، بالوسائل الفطرية التي لا يعجز عنها بشر سويّ، «فكل ميسر لما خلق له» [متفق عليه].

وفي المقابل يسّر الله غير المسلمين لخدمة الدنيا والدعوة إليها، فهم أحق وأولى بها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ (٣٤) وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥]، وقال رسول الله ﷺ: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) [رواه مسلم]

ومن فضل الله وعَدْلُهُ ألا يعطي عبداً من عباده - مؤمناً كان أو كافراً - كل شيء ،
وألا يحرمه من كل شيء .

ولكن أكثر المسلمين أهملوا ما خلقهم الله ويسرهم له ، وتطلّعوا إلى ما خلق
الله الكافرين ويسرهم له ، فخسروا الأمرين ، كما قالوا عن الغراب الذي حاول
مشية الحمام فخسر المشيتين . والأصح هنا أن نقول : إن الحمامة العربية هي التي
حاولت مشية الغراب الغربي فخسرت الأولى والثانية .

ومهما بذلنا من جهود وأموال وأوقات وتضحية بالذي هو خير في سبيل
الذي هو أدنى ، لم ولن يتجاوز نصيبنا التبعية والتقليد والتخلف ، وكان عزاؤنا
الكلام ، أي كلام ؛ وهذان مثالان من الأمثلة :

أ- قال عربي لا يُعرف له اسم ولا رسم : (لأُمشاحة في الاصطلاح) في فقه
الدين ، وقال آخر : (اتق شر من أحسنت إليه) في الأخلاق ، وقال ثالث :
(الامتحان شر لا بد منه) في التعليم ، وقال رابع : (الأمثال لا تُغَيَّر) في الحِكم
الشعبية .

ولو سَمَتُ هممنا إلى عرض هذه الأقوال - ومثلها كثير - على الشرع أو
العقل ، لما قبلناها ورددناها واستشهدنا بها دون تمحيص كأنها وحي منزل ، بل إن
كثيراً من مثقفينا الإسلاميين - فضلاً عن الأميين - لا يقبل الوحي المنزل المبني على
الإيمان بالغيب إلا بعد عرضه على فكره واقتناعه به :

١- والحق أن (المشاحة) واردة على الاصطلاح الحادث في علوم الدين - عقيدة
وعبادة ومعاملة أو سلوكاً - حتى يقره شرع الله من الكتاب والسنة وفقه أئمة العلم
في القرون المفضلة .

٢- وقد أمر الله بالإحسان في المعاملة للمسلم وللکافر وللکتابي ، قال الله

تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]؛ فعاقبة الإحسان الخير لا الشر.

٣- وبفضل من الله ورحمة لم يجعل الشر طريقاً لنا إلى الخير، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الاعراف: ١٥٧]، والامتحان الشرّي الذي كان يحكم التعليم في جميع مراحل شراً كان منه بدّ وآثاره السيئة على العلم وطلابه من بداية التنظيم الدراسي إلى نهايته لا ينكرها إلا جاهل أو مكابر.

٤- والأمثال قد تكذب فتُردّ، وقد تصدّق فتوضع في مكانها الصحيح، وأصدقها ما جاء في كتاب الله مثل قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [الاعراف: ١٧٦]، وما جاء في سنة رسول الله ﷺ مثل: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم»، فليُنظر بم يرجع» [رواه مسلم]. وقد ردّ النبي ﷺ كثيراً من أقوال العرب ومصطلحاتهم وأمثالهم وأسمائهم؛ مثل نهيه عن سبّ الدهر، وما أكثر ما يُسبُّ إلى اليوم شعراً ونثراً، ونهى عن أسماء تدل على الصلاح وأسماء تدل على ما دون ذلك، بل ونهى عن تسمية العنب كرمًا، ونهى أن تسمى صلاة العشاء صلاة العتمة.

ب- ولأن الطموح إلى الترف قعد بنا عن الطموح إلى المنازل العليا التي أراد الله لنا شرعاً أن نتنافس فيها، وأعلاها في الدنيا: هداية الناس إلى التوحيد والسنة، وفي الآخرة: رضاه والجنة؛ اكتفينا بالقعود في المؤخرة نرقب ما يفعله الآخرون وننحت له الأسماء والمصطلحات ونحكم عليها، وهذه بعض الأمثلة:

١- انتظار الأحداث المحلية والعالمية، ثم تحليلها سياسياً وفكرياً، وإصدار

الأحكام الشرعية عليها، بلا موازين غير الظن وما تهوى الأنفس، وبين أيدينا هدي الكتاب والسنة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]، محذراً من الوقوع فيما وقع فيه الضالون قبلنا.

٢- عزو كل ما يحدث في الكون إلى مؤامرات محبوكة لا تخيب، وتخطيط دقيق لا يفشل من أمريكا واليهود، حتى أشركوهما - إن لم يكونوا أفردوهما - في الربوبية والتدبير والتصرف، ونسوا أقدار الخالق وخطايا المخلوق، قال الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (٧٨) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴿ [النساء: ٧٩].

٣- ترجمة كلمة (SECULAR) إلى: علماني - بكسر العين - وبعد عشرات السنين تحويلها إلى علماني - بفتح العين - وقليل من يعقل أن أصل استعمالها الحديث بدأ بخروج النظام الأوروبي البشري عن سلطة الكنيسة الكاثوليكية، وليس للمسلم أن يحزن كثيراً لهذا الحدث فإن كلاً من الخارج والمخرج عنه مُنحرف عن شرع الله. وللأسف فإن تنفيذ المسلمين لما قلّده من أحكام البشر أسوأ منه، وأقرب مثال حكم القانون في فرنسا بحق المرأة المسلمة في الحجاب، وتحريمه في تركيا.

٤- ترجمة كلمة (SOCIALISM) إلى: اشتراكية، والحكم عليها بما وصلت إليه بسبب التقليد العربي الفاشل للفكرة الأوروبية وتنفيذها الفاشل، ومن ثم الحكم عليها بالكفر، وفي الوقت نفسه، وبسبب جهلهم بأحكام الأموال في الإسلام، وصف بعضهم هذه الأحكام بالاشتراكية الإسلامية.

٥- تعريب كلمة (DEMOCRACY) إلى: ديمقراطية، وحملوها أكثر مما

تحمل من خير أو شر، بحكمهم على التنفيذ الناجح أو الفاشل للديمقراطية، منذ ولاية المدينة في اليونان قبل (٢٥٠٠) سنة، وبما صاحب التنفيذ من تحكيم قوانين البشر، ثم طالبوا بها للوصول إلى السلطة بطريق الانتخابات والمظاهرات والإضرابات، رفضاً لتعيين ولاية الأمر خلفاءهم وعمالهم، وهو بلا شك أقرب إلى الشرع والعقل من حكم الأكثرية الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٦- ترجمة اصطلاح (INTERNTIONAL LEGITIMACY) إلى: الشرعية الدولية، وعدوها من الشرك الأكبر، وانشغلوا وأشغلوا بها وبمثلها المسلمين عن الاحتراز من الشرك الأكبر الذي جاءت كل الرسائل وكل الرسل للتحذير منه والقضاء عليه: تقديس المزارات والمشاهد والمقامات والأضرحة ودعاء من نسبت لهم، وطلب المدد منهم، والنذر لها، والذبح والصلاة عندها تقرباً إلى الله بمعصيته.

٧- ترجموا كلمة (CAPITALISM) إلى: رأسمالية، وربطوها بأمريكا وحكموا عليها بالكفر، ثم سعوا إليها باسم البنوك الإسلامية والمستشفيات الإسلامية، والمدارس والمعاهد والكليات والمراكز الإسلامية، بل والفرق الفنية والنوادي الرياضية الإسلامية.

والحق أنه لا يجوز الحكم على فرد أو تنظيم أو شيء إلا بما جاء به الوحي المنزه عن الظن واحتمال الخطأ، وبفقه أئمة العلم الشرعي في القرون المفضلة في نصوصه، وبذلك وحده يتميز الكفر من الإيمان، والحرام من الحلال والمباح، وأمور الدنيا والعادات من أمور الدين والعبادات.

وصلّى الله وسلّم على محمد وعلى آله وصحبه ومتّبعي سنته .

التراث والآثار

قبل عام كتبت ملاحظة (لم تنشر) على رأي لكاتب عربي بارز في كتاب (دليل الليالي العربية) لروبرت أون، أحدث تقريرى لكتاب (ألف ليلة وليلة) في سلسلة الإعجاب الغربي به، وأخذ منه الكاتب العربي أن: (ألف ليلة وليلة) لم يعط حقه من التقدير في موطنه.

وكان رأيي أن هذا الكتاب لا يستحق التقدير في العالم العربي وبخاصة بين المسلمين، ولم يهتم به العرب القدوة في الدين أو الأدب لأنه كان من سَقَط المؤلفات بكل مقاييس الحكم الصحيح: لغوية، وفنية، وخلقية وشرعية، وتربوية، وإنما مثله - وإن كان يقصر كثيراً - مثل (رباعيات الخيام) في الأدب الفارسي لم تنل حظوة في موطنها حتى ترجمها (فيتزجيرالد) إلى الإنكليزية بنظمه الجميل الراقى - بالمقاييس الأدبية الحديثة - فالقيمة الحقيقية للرباعيات هي لصياغة (فيتزجيرالد) وليست لصياغة (عمر الخيام).

وفي العربية: القيمة الحقيقية للرباعيات إنما هي لصياغة أحمد رامى بشعره الرقيق السلس، المغيرة للأصل، ويظهر صحة هذا الحكم عند المقارنة بين ترجمة أحمد رامى للرباعيات وترجمة أحمد الصافي النجفي الموافقة للأصل.

والواقع أن أكثر حكايات (ألف ليلة وليلة) ساذجة وساقطة، ولا يصح ديناً ولا خلقاً ولا تربية ولا أدباً أن تُقدَّم نموذجاً فنياً صالحاً للأبناء والأحفاد، ولكن المسلمين في العصور المتخلفة مستعدون لاتباع أي ناعق غربي - أو شرقي - في أي قضية فكرية، ولو كانوا ألصق بها وأقدر على الحكم عليها.

نعم يمكن الاستفادة من التقنية والثقافة الغربية، وإنتاجها من البحوث الجادة

المفيدة في الأمور الدنيوية، بل والدينية فقد أيد الله الباحثين المسلمين في تقنية علوم القرآن بنصراني ألماني؛ فظهر لأول مرة: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن، ثم - في تقنية علوم السنة - بنصراني هولندي؛ فظهر لأول مرة: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ الحديث أعانه على إخراجهِ وموَلّه عدد من الأفراد والمؤسسات النصرانية. ولكن أين من الشرع بل وأين من العقل: الاهتمام بورقة من المصحف (من جلد الغزال) يشتريها بمئات الألوف السذج من الأثرياء مما استخلفهم الله فيه لينظر كيف يعملون، أو السذج من الموظفين على حساب الخزانة العامة، لو كان الحُكْمُ قول الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]؛ لا يحب المسرفين في الطيب الحلال المفيد من أمور الدين والدنيا، فكيف بالإسراف في القيم الخيالية فنية أو جمالية أو رياضية أو فكرية؟!

ليس من شرع الله في شيء، بل وليس من العقل في شيء، هذا التهالك على (التراث والآثار) دينية أو دنيوية، لمجرد مرور الزمن عليه أو قبوله في مجتمع صناعي. ولئن كان الكافر معذوراً - وجنته في الدنيا - باللهو الخيالي فتتحول مقطوعة (فالس بوليرو) من (١٧ دقيقة من الأوركسترا بلا موسيقى) كما حكم عليها مؤلفها (رافل) بحكم مجتمع (فيينا) الفني قبل ٧٠ سنة، إلى مقطوعة من الدرجة الأولى اليوم، وتلقى لوحة (ماتس) في متحف نيويورك للفن الحديث ما تستحقه من الحفاوة والتقريض والإعجاب مدة شهر ونصف، وزوارها يبلغون مئات الألوف من محترفي الفن وهواته ونقاده، ثم يتبين - بملاحظة غير فنية - أنها علقت مقلوبة طوال هذه الفترة. فما هو عذر المسلم الذي يتقرب إلى الله بغير شرعه، أو ينشر الفسق والتفاهة باسم الأدب والفن، أو يبذر المال الخاص أو العام على التقليد الخيالي لثقافة ضالة؟

قال عمر رضي الله عنه : (إنما أهلك من كان قبلكم تتبعهم آثار أنبيائهم) وروى عنه أنه قطع شجرة بيعة الرضوان لما رأى من اهتمام بعض المسلمين بزيارتها أو الصلاة عندها ، وفوق ذلك نهى رسول الله ﷺ عن دخول آثار الضالين إلا بالبكاء خشية الإصابة بمثل ما أصابهم ، ولا شك أن تتبع آثار وتراث وثقافة الضالين في حاضرتنا - بلا فائدة تسد حاجة أو ضرورة - وسيلة للإصابة بمثل ما أصابهم من الانحراف والضلال عن سواء الصراط .
وصلّى الله وسلّم على محمد وعلى آل محمد .



إحياء الآثار الدينية والوثنية

في أقل من شهر حثّ عدد من الصحفيين والكتاب والموظفين أمة الإسلام على إحياء الآثار الدينية إبرازاً (لمعالم الحضارة الإسلامية)، و(لذاكرتنا التاريخية)، و(احترامنا لسيرة المصطفى ﷺ)، و(تصحيح النظرة التي تحكمنا تجاه الآثار الدينية والوثنية)، وسبقت ذلك محاولات أقل جرأة على الحقّ.

ومع إحساني الظن بنية الكتبة جميعاً وإدراكي سوء قولهم وعملهم؛ لم أجد بداً من التساؤل: هل اتفاقهم على هذا الاتجاه وحرصهم على نشره - ولم يُعرف عن أحد منهم اهتمامه بنصر سنة ولا قمع بدعة ولا نهْي عن معصية كبيرة أو صغيرة - هل كان ذلك إرجاف منظّم لفرض رأيهم أم مجرد توارد خواطر شيطانية أملتها العاطفة التائهة.

وأيّاً كان الجواب على هذا التساؤل (وهم أعلم بما في نفوسهم مني وحسابهم على الله)؛ فإنهم مخالفون لشرع الله وسنة رسوله وسنة خلفائه الراشدين وآل بيته وصحابته وأئمة الفقه في الدين في القرون المفضلة ومن سار على نهجهم من فقهاء الأمة الداعين إلى دين الله على منهاج النبوة.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

(١) فلم يردّوا الأمر لله ولا لرسوله؛ إذ لم يقدموا نصّاً واحداً من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال فقهاء الأمة في القرون المفضلة يجيز إحياء الآثار الدينية أو

الوثنية .

بل خالفوا الأمر الصريح بالنهي عن مشابهة الكافرين الذي بدأ ضلالهم واستمر بسبب إحياء آثار الصالحين والغلو فيهم بدعوى محبتهم والتقرب بهم :

* روى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى عن قوم نوح : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣] ، قال : (هي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت) .

* وروى ابن جرير أنهم : (كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم) إلخ من ابن كثير .

* وفي الصحيحين عن عائشة أن النبي ﷺ قال عن النصارى : « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .

* وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي لم يقم منه : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ، قالت عائشة رضي الله عنها : يحذر مثل الذين صنعوا .

* وفي عدة روايات في الصحيحين وفي مسند الإمام أحمد أن هذه كانت آخر وصايا النبي ﷺ لأمة .

ثم يأتي أحد هؤلاء الكتبة عفا الله عنهم وهداهم ويتمنى لبلاد التوحيد والسنة ما طهرها الله منه : أن يُبني مسجد على قبر كل صحابي .

(٢) ولم يردّوا الأمر إلى من أوصانا النبي ﷺ باتباع سنتهم ، فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قطع شجرة بيعة الرضوان لما رأى من رغبة الناس في اعتيادها في خير عصور الإسلام ، وورد عنه أيضاً منعه الناس من قصد الصلاة في موضع صلى فيه النبي ﷺ إلا لمن أدركته الصلاة فيه .

وورد عنه أيضاً أنه قال : (إنما أهلك من كان قبلكم تتبعهم آثار أنبيائهم) ، هذا في عصر الصحابة والتابعين في خير القرون .

ولم يعرف عن أحد من فقهاء الأمة (إحياء أثر) في مكة المباركة غير ما شرعه الله : المسجد الحرام ﴿لِلنَّاسِ سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج : ٢٥] ، وغيره من مشاعر الحج (للحاج وحده بما شرعه الله له) .

ولم يُعرف عن أحد من فقهاء الأمة في القرون المفضلة (إحياء أثر) في المدينة النبوية غير ما شرعه الله : المسجد النبوي ، ومسجد قباء ، وزيارة قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه ، وقبور المسلمين في البقيع وأُحد للدعاء لهم وتذكر الآخرة .

ولم يعتد أحد من الصحابة ولا من تبعهم زيارة غار حراء في مكة المباركة ولا غار ثور ولا مكان المولد المزعوم لأن النبي ﷺ لم يسنّ لهم ذلك .

(٣) ولم يردّوا الأمر إلى أولياء الأمر منهم - كما هو أمر الله - ومعلوم أن الله قد منّ على دولتنا المباركة فميّزها بالتأسيس من أول يوم على الدعوة إلى منهاج النبوة في الدين والدعوة على جميع دول المسلمين منذ القرون المفضلة فأزالت جميع ما يسميه المبتدعة اليوم بالآثار الإسلامية من المقامات والمشاهد والمزارات ،

وبالآثار الوثنية وأهمها ذي الخلصة في تبالة وجبل دوس ، وميزها الله بالجهاد الحقيقي لتكون كلمة الله هي العليا (لا الجهاد الوهمي ولا الإجرامي الحديث) ، وميزها بنشر كتب التوحيد والسنة والتحذير من الشرك والبدعة لأول مرة في تاريخ المسلمين مثل : فتح المجيد وشرح الطحاوية وفتاوى ابن تيمية وجامع الأصول وتفسير الطبري وتفسير ابن كثير ، وميزها الله بإرسال دعاة التوحيد والسنة إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وإنشاء معاهد وكليات الدعوة إلى منهج النبوة في الداخل والخارج .

وهذه أعظم ميزة منحها الله لعبد من عباده ، وهي أعظم ما أرسل الله به رسوله وأنزل له كتبه ، وأعظم شرائع وشعائر دينه .

٤) ولم يردوا الأمر إلى أكبر علماء هذه الدولة المباركة بداية من الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وتلامذته في المرحلة الأولى ، ثم فتاوى الشيخ / محمد بن إبراهيم ، والشيخ عبدالعزيز بن باز ، والشيخ محمد ابن عثيمين رحمهم الله ، ودروس وخطب وفتاوى الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ ، والشيخ صالح بن محمد اللحيدان ، والشيخ د . صالح الفوزان ، وجميع العلماء الدعاة إلى الله على منهج النبوة ، وبخاصة ردود الشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع ، والشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ على دعاة البدعة والفتنة .

٥) وقد مضت سنة النبي ﷺ وخلفاؤه وأتباعه على هذا الصراط المستقيم من سد ذرائع الشرك وأبوابه حتى بدأ نشر البدع الشركية فما دونها بإحياء ما سماه الشيطان : الآثار الإسلامية أثناء عهد الفاطميين واستمر في عهد العثمانيين وما بينهما ، وجاء الله بمن يجدد لهذه الأمة دينها بالعودة به إلى أصله من أفراد : أبرزهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن الجوزي رحمهم الله ، ثم

جاء الله بدولة التوحيد والسنة التي بدأت بعقد رباني بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود رحمهما الله وجزاهما عن هذه الجزيرة المباركة وعن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي به الدعاة إليه على بصيرة - وأعظمهم رسله - من نصر لدينه ومحافظة على شعائره وبيوته وتطهيرها مما يحدثه الجهل والهوى ووسوسة شياطين الإنس والجن .

قال الله تعالى : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣] .

٦) أرجو الله ثم أرجو علماء الأمة الدعاة إلى الله على سبيل نبيه والمؤمنين به بيان وجه الحق في هذا الأمر العظيم حتى لا يُظنّ سكوتهم عن الباطل علامة لرضاهم عنه ، وأرجو الإخوة الكتبة أن يتقوا الله فلا يقولوا على الله وشرعه بلا علم ولا هدى ولا صراط مستقيم .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .



الأقدار خير من التوقعات

اكتشفت منذ زمن الدراسة في المرحلة الابتدائية أن أقدار الله لخلقه خير من توقعاتهم لأنفسهم؛ فما توقعنا النجاح في سنة من سنوات الدراسة في الداخل ولا في الخارج، وبرحمة من الله وفضل لم أجرب الفشل مرة واحدة.

وهذه ترجمة لتقرير مختص عن مستقبل الحياة بمشيئة الله على الأرض يؤكد رأيي فيما هو أهم من نتائج الامتحانات المدرسية:

قبل ثلاثين سنة كان دخان الآلات يلوث الهواء الذي يتنفسه الناس في كثير من المدن الأمريكية، وكانت بحيرة (إيري) العظيمة تموت، وعلى نهر (البوتوماك) لوحة إنذار من خطر ملامسة الماء، وفي نهاية السبعينيات أكدت تقارير الخبراء أننا نسمم المكان الذي نعيش فيه ونفني موارده الطبيعية، وأنا في زمن قريب سنختنق من التلوث.

واليوم نتلفت حولنا فنجد في الغالب أن مستوى حياتنا خير مما كان ومما توقعه الخبراء لنا:

فمع أن التلوث لا يزال مشكلاً؛ فإن الهواء أنظف مما كان عليه في منتصف السبعينيات إذ انخفض مستوى (سلفرديوكسايد) ٥٠٪، و(كربون مونوكسايد) ٦٠٪، وذرات الدخان والملوثات الأخرى ٢٥٪ تقريباً. وزادت نظافة المياه في البحيرات والأنهار فأزيلت لوحة الإنذار عن ضفة نهر (البوتوماك).

الشيء الذي لم يتغير هو سوء التوقعات ونذر الدمار، مثل:

١- زيادة السكان ونقص موارد الغذاء: قبل ٣٠ سنة كتب عالم الأحياء (بول

إيرليك) في كتابه (قنبلة السكان) أن مئات الملايين سيموتون من الجوع في عقد السبعينيات لطغيان زيادة السكان على موارد الغذاء .

ولم يتحقق توقعه ؛ فقد تضاعف عدد السكان منذ عام ١٩٥٠م ولكن إنتاج الغذاء زاد ثلاثة أضعاف . وإذا استمر معدل الزيادة في عدد السكان ونتاج الغذاء ؛ فإن عدد البشر سيبلغ ثمانية آلاف مليون عام ٢٠٤٠م ، وسيكفي ناتج الأرض المخصصة للزراعة اليوم لإطعام عشرة آلاف مليون طبقاً لتوقعات (بول واكنر) عالم في محطة التجارب الزراعية في (كنتكت) بسبب التقدم في تطوير وتحسين الناتج الزراعي .

٢- الكيمياء الصناعية تسبب وباء السرطان : كتبت (راشيل كارسون) عام ١٩٦٢م أنه للمرة الأولى في تاريخ البشرية يتعرض كل كائن حي للكيمياء الخطرة منذ تكون النطفة في الرحم حتى الموت ، ولكن (بروس إيمس ولويس كولد) ، باحثين في السرطان بجامعة (كاليفورنيا/ بيركلي) ، يؤكدان أن أكثر الكيمياء الصناعية التي يتعرض لها البشر هي في الواقع (طبيعية) ؛ فإن ٩٩, ٩٩٪ من المبيدات التي تدخل جوف الإنسان موجودة خِلقة في النباتات لتطرد عنها الحشرات والأحياء الأخرى : كثير من الفواكه والخضروات تحتوي على (كافيك أسيد) ، وزبدة اللوز تحتوي على (أفلاتوكسين) ، والخبز الأبيض يحتوي على (فرفال) ، وكل هذه المواد مسببات للسرطان (كارسينوجين) ولكن لا يجوز تجنب الأغذية المحتوية عليها بسببها ، فإن الإنزيمات الطبيعية في الجسم البشري مضادات فعالة لمقاومة الكيمياء الطبيعية والصناعية .

وماذا عن وباء السرطان؟ يقول (بروس ولويس) : لا حقيقة له ؛ فمع أن أنواعاً من السرطان - وبخاصة ما يتعلق منها بالتدخين - قد زادت نسبة الإصابة بها

خلال العقود الأخيرة من السنين، فإن أنواعاً كثيرة من السرطان قد انخفضت نسبة الإصابة بها في أمريكا - وهي الأكثر تلوثاً في العالم - منذ عام ١٩٥٠م. يضاف إلى ذلك أن نسبة اكتشاف المرض قد زادت عموماً بسبب تطوّر التشخيص. ويؤكد بحث في مجلة (الأمريكي) العلمية نُشر في العام الماضي أن نسبة الموت بالسرطان بسبب التلوث في أمريكا لا تزيد عن ٢٪، وأن أكثر الموت بالسرطان سببه قلة الحركة.

٣- العقم البشري: حذر (ثيو كولبورن) عالم الحيوان في كتابه (مستقبلنا المسروق) من تسبب الكيماويات الصناعية في نقص الإخصاب البشري في العالم بنسبة ٥٠٪ في نصف القرن الأخير.

ولكن (ريتشارد شيرينز) في مجلة (نيو إنكلند) الطبية يؤكد أن نسبة الإخصاب في أمريكا لم تتغير في العقود الثلاثة الأخيرة. يضاف إلى ذلك أن مستوى انتشار بعض الكيماويات المتهمة مثل (د. د. ت) وتأثيرها في الجسم البشري قد انخفض ٧٥٪ خلال العقدين الماضيين.

٤- الانقراض الأحيائي يهدد توازن الطبيعة: كتب عالم الأحياء (نورمان ميرز) في كتابه (الفلك الغارق) عام ١٩٧٩م: أن مائة نوع من الأحياء ينقرض يومياً، وأن مليون نوع من الأحياء سينقرض بنهاية عام ١٩٩٩م.

ولكن الواقع يخالف هذه التوقعات، فلم ينقرض من الأحياء الموضوع على لائحة (الأحياء المهددة بالانقراض) منذ ١٩٧٣م غير سبعة أنواع.

٥- اختفاء طبقة (الأوزون) تهدد بوباء سرطان الجلد: في بداية السبعينيات اتهم علماء الغلاف الجوي للأرض المبرّدات وأشهرها (الفريون) بتدمير طبقة (أوزون) التي تحجب أشعة الشمس فوق البنفسجية، وأكدت التقارير العلمية بعد

ذلك تسببها في ثقب طبقة (أوزون) الذي يظهر مؤقتاً فوق القطب الجنوبي .

ومنذ عام ١٩٧٨م منعت أمريكا استعمال المبردات لنفث العطور ومبيدات البعوض ومزيلات الروائح (البشرية) . وقد وُقِّعت اتفاقات دولية لمنع صناعة كل ما تأكد تأثيره على طبقة (أوزون) .

ومع أن نسبة اكتشاف سرطان الجلد قد زادت ، فإن أكثر المختصين يرى أن الزيادة ناتجة عن تغير أساليب المعيشة مثل تخفيف الملابس وقضاء ساعات أكثر على شاطئ البحر .

٦- زيادة الحرارة على وجه الأرض : في نهاية السبعينيات ظهرت نظرية حبس الحرارة بتأثير كثافة (كربون ديوكسايد) في جو الأرض ، وأن ذلك سيزيد حرارة سطح الأرض بضع درجات خلال قرن من الزمان ، ويزيد الأعاصير .

ولكن بعض المعلومات من الأقمار الصناعية يؤكد أن درجة الحرارة على الأرض قد انخفضت خلال ١٨ عاماً الماضية ، وأن أعاصير المحيط الأطلسي وسرعة رياحها لم تزد خلال نصف القرن الأخير .

وعتني شخصياً؛ فمنذ تركت التراب ، ثم الحُصْر ، ثم مقاعد الدراسة العصرية ، ومارست الحياة العملية؛ لم أواجه موقفاً كانت فيه توقعاتي خيراً من أقدار الله تعالى واختياره لي .

وصلّى الله وسلم على محمد وآل محمد وصحبه وأتباعه سنته .

معذرة! فالحياة حلوة

الحياة الدنيا مركبة من نقيضين: خير وشر؛ فمن صرف نظره إلى جوانب الخير في الحياة وجد كل الخير، ومن صرف نظره إلى جوانب الشرّ فيها لم يجد إلا الشرّ «فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»، وهذا الحديث من جوامع الكلم، ففيه ميزان السعادة والشقاء وطريقهما، ويبقى الاختيار لنا، ولكن أكثر الناس يختارون منظار الشرّ والشقاء ويحملون من سواهم التبعة.

نعيب زماننا والعيبُ فينا

وما لزماننا عيبٌ سوانا

وقد نبهني لهذه الحقيقة خير مُعلِّمٍ وأقربهم إليّ - قبل خمس وعشرين سنة - وكنت معه في طريقنا إلى اجتماع بين المغرب والعشاء مع إخوة لنا يتبارون في سرد - لا ينتهي - للشائعات عن فساد الحاضر والوعيد بسوء المصير في المستقبل، في مخالفة صريحة مُصرّة لشرع الله في الكتاب والسنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]، ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨]، «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»، «من قال: هلك الناس، فهو أهلكهم»، وأخترنا (الرباط) في المسجد وأجر الصلاة بانتظار الصلاة.

ومنذ ذلك اليوم - بفضل الله - صرفت نظري إلى نعمة الله بالخير وشكره عليها.

وكانت أول فتنة في القرن الأول الهجري قد قامت - بوسوسة من الشيطان - على مثل ذلك، وانتهت بقتل ولي الله ورسوله أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي

الله عنه وأرضاه، بحجة عدم العدل في توزيع الأموال والمناصب، بل فُتِنَ بها بعض الأفراد في حياة النبي ﷺ فوصفهم الله تعالى بقوله: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].

وبين يديّ مقال عن الأمر نفسه في مكان بعيد يعدّه أكثر الناس - من أهله ومن غيرهم - أكبر بقاع الأرض نصيباً من شرور الحضارة الصناعية من حيث الجريمة والحوادث والمخدرات والتلوث البيئي والأوبئة الطارئة والتضخم المالي والبطالة والتمييز العنصري: الولايات المتحدة الأمريكية.

ويعالج المقال مرض - بل وباء - تغليب السخط على الرضا من وجهين متميزين:

١- أنه بلغ من الحدة درجة تجاوزت التركيز على جوانب الشر والازورار عن جوانب الخير، إلى تهويل الشر وجحود الخير. يقول (أورلاندو بترسن) أحد أساتذة جامعة (هارفرد) فيما يسمى (علم الاجتماع): إن من المدهش أن النخبة في نيويورك وواشنطن - فضلاً عن غيرهم - مستمرون في ادعاء أن كل شيء يزداد سوءاً، مع أن كل شيء - في الواقع - يتحسن بوضوح (في العقدين الأخيرين بمقاييس البحث والتمحيص لا بمقاييس الشائعات).

ونتيجة لإحصاء عام ٩٦ ظهر التناقض في رأي من أخضعوا للإحصاء؛ فبينما اعترف ٧٥٪ منهم أن حالتهم جيدة، لم يعترف غير ٥٥٪ منهم بأن حالة البلاد جيدة.

٢- بالمقارنة الإحصائية التالية يتبين مدى التحسن الذي طرأ على هذه البلاد التي يقلدها الناس في الكثير من الشر والقليل من الخير في أدق أحوالهم وأجلها. الحوادث: في عام ٨٥ مات ٣٩ من كل مائة ألف، وفي عام ٩٧ مات ٣٥.

نقص عدد الأموات في حوادث العمل من ١١,٥٠٠ عام ٨٥ إلى ٦,٢١٨ عام ٩٧. نقص عدد الأموات في حوادث الطرق إلى حدّ قياسي: ٢ لكل مائة مليون ميل. في عام ٦٠ مات ٦,٠٠٠ في الحرائق، ونقص العدد عام ٩٧ إلى ٣,٣٦٠. والسبب البشري الأول في كل ذلك: اهتمام المواطن بالسلامة وزيادة وعيه بالخطر نتيجة للتوعية المستمرة.

المخدرات: نقص عدد متعاطي الكوكايين بين كبار طلاب الثانوية من ١٧٪ عام ١٩٨٥ إلى ٩٪ عام ٩٨. ونقص عدد متعاطي مخدرات التهييج بينهم من ٢٢٪ عام ٧٥ إلى ١٦٪ عام ٩٨. ونقص عدد من شرب الخمر بينهم من ٧٢٪ عام ٨٠ إلى ٥٢٪ عام ٩٨. ونقص عدد المدخنين البالغين من ٤٢٪ عام ٦٥ إلى ٢٥٪ عام ٩٥.

الاقتصاد: البطالة والتضخم في أدنى درجاتها منذ ربع قرن، والإنتاج الصناعي أكثر ١٢٥٪ مما كان عام ٧٠، ومستوى المعيشة في ازدياد معترف به من الأغلبية، إضافة إلى الفائض المالي العام الذي لم تعرف البلاد مثله منذ سنوات عديدة، وتناقص الفرق في الأجور بين البيض والسود.

البيئة: نقص دخان الوقود ٣٣٪ منذ عام ٧٠ مع أن عدد السيارات زاد ٧٥٪، ونقص غاز (سلفر ديوكسايد) في الجو ٣٥٪ وذرات السّخام ٧٥٪ و(كربون مونوكسايد) ٣٢٪ والرصاص ٩٨٪ و(سي إف سي) الذي يضعف طبقة الأوزون لم يعد له وجود يذكر، والسبب في كل ذلك مشترك بين المواطن والدولة.

الصحة: معدل الموت بالسرطان بدأ يتناقص مع بداية التسعينيات بعد أن كان يتزايد في العشرين سنة قبلها. ونقص معدل الموت بمرض القلب ٢٨٪ بين عام ٨٧ و٩٧. ونقص معدل الموت بمرض الإيدز نقصاً ملحوظاً. وزاد معدل سنيّ

الحياة من ٥٤ سنة في عام ٢٠ إلى ٧٧ سنة الآن .

ومع كل ذلك ؛ يُصِرُّ الأغلبية هنا وهناك - وبخاصة في وسائل الإعلام التي تعيش من نشر أخبار الشر - على أن كل شيء يسير في طريق الهاوية .

ومن أغرب الأمثلة المتناقضة أن مثقفي العرب يؤكدون أن النظام العالمي الجديد نظمته أمريكا للقضاء على القومية العربية والإسلام ، بينما يؤسس جيش أهلي سري في أمريكا - يقدر عدد أفراده بمائة ألف مسلح - لحماية أمريكا من مؤامرة النظام العالمي الجديد ، وقد نكون هذه المرة صدّرنا (عقدة المؤامرة) استثناء من عادتنا الاستيراد .

ومعذرة مرة أخرى فالحياة حلوة ، وعلينا شكر الله عليها دوماً ، قولاً وعملاً .

وصلّى الله وسلم على محمد وآل محمد .



وارتفاع الحرارة نعمة

منذ تسع سنين نُشر تحذير سياسي من خطر ارتفاع حرارة الأرض على مستقبل البشرية بسبب زيادة استهلاك الوقود في المصانع والمدافئ ووسائل النقل، ونفث الغازات المستهلكة في الفضاء. وتنبأ (جورج ميتشل) في كتابه (العالم يحترق) بأن ذلك سيحدث فوضى كونية وأعاصير عارمة تهدد ملايين البشر بالموت، وتسوق قارتي الهند وأفريقيا إلى المجاعة العامة.

ولكن (دنس آفري) قد يوافق على المقدمة، ويخالف النتيجة المتشائمة، فارتفاع درجة الحرارة في الأرض - كما يقول - إن حدثت، فلن تكون بالضرورة ضارة، بل ستكون خيراً أيعم سكان الأرض، وهذا موجز أدلته:

١- عندما نشر ميتشل تحذيره كانت أجهزة الكمبيوتر البدائية للتنبؤات الجوية تتوقع أضعاف ما تتوقعه الأجهزة الحديثة لارتفاع درجة الحرارة، أما اليوم فإن الأبحاث المتخصصة لا تتوقع زيادة أكثر من درجتين أو ثلاث خلال القرن القادم.

٢- وهذا القدر من ارتفاع الحرارة حدث من قبل في القرون الوسطى، كما يقول المختصون في (معهد أوريكن للعلم والطب)، فكانت النتائج من خير ما سجله تاريخ البشر لازدهار الزراعة والتجارة والفن؛ فقد تضاعف إنتاج الغذاء بسبب دفء الشتاء وطول المواسم الزراعية، وزاد المطر، وقلّت الفيضانات بزيادة نسبة التبخر، ونقص معدل الوفيات بسبب تحسّن التغذية من جانب، ولقلة حاجة الناس للاجتماع في البيوت حول نار التدفئة وما يسببه دخانها والرطوبة من الأمراض المعدية.

٣- وكانت نتيجة تحسّن أحوال المعيشة: التفرغ للإبداع في الهندسة والفن

والاختراع الفني ، فبنى الأوروبيون الكاثدرائيات التي لا تزال تدهش السائحين بجمالها وتفوقها الهندسي ، وفي جنوب شرقي آسيا شيد (الخمر) - قبل أن يحمرّوا ويدمروا - معبد (أنكروات) ، وبنى (البورميون) آلاف المعابد في عاصمة بلادهم (باكان) . ودخلت طاحونة الهواء وآلة النسيج الحياة العامة ، ويسر سبك الحديد الحصول على أدوات أدق وأجود . وازدهرت التجارة لأسباب منها قلة العواصف في البحار ، وامتدت الزراعة إلى اليابان في الشرق ، وإنكلترا واسكندنافيا وروسيا في أوروبا .

٤- كانت كمية الأمطار التي هطلت على جنوب أمريكا الشمالية أكثر منها الآن ، وحضارة (الأناسازي) تميزت بالازدهار الزراعي ، ثم زالت بعد تغير درجة الحرارة في القرون الوسطى بالنقص ، وقد اكتشفت دلائل على أن الصحراء في شمال أفريقيا انكمشت بسبب زيادة المطر مع زيادة الحرارة في القرون الوسطى .

٥- الدفء المتوقع سيرفع درجة الحرارة في الشتاء وفي الليل ، ولن يرفع درجة الحرارة القصوى في الصيف وفي النهار ، وبالتالي فلن يضر النبات والأشجار ولا البشر .

٦- والزيادة المتوقعة في نفث غازات (ديوكسايد كاربون^٢) الناتجة عن حرق وقود الفحم والزيت ستخصب النبات ؛ لأن (د . ك^٢) في الواقع سماد صناعي ، وقد ظهر من أكثر من ألف تجربة في تسعة وعشرين بلداً أن مضاعفة ال (د . ك^٢) يزيد المحصول من الحبوب بنسبة النصف ، ويزيد في غمى الغابات ، وبالتالي يتوفر الغذاء للطيور والحيوانات البرية .

٧- ليس لما أعلنته الصحف في الثمانينيات نصيب من الصحة حول التنبؤ بغرق مدن كبيرة بسبب ذوبان الجليد القطبي بسبب زيادة الحرارة ؛ بل يرى

المختصون أن ارتفاع الحرارة قليلاً في المناطق الباردة الجافة من القطب يزيد الجليد القطبي ولا ينقصه، فنتيجتها زيادة الرطوبة في الجو التي تزيد من نزول الثلج، وبالتالي: زيادة الجليد.

٨- ولا صحة لتنبؤ المتشائمين بأن زيادة الدفء سيزيد من الأعاصير والعواصف؛ يقول (إس فرد سنكر) الأستاذ- بروفيسور- لعلوم البيئة في جامعة (فرجينيا): (بل يتوقع أن يقل حدوث ذلك بسبب نقص الفرق بين القطب وخط الاستواء في درجة الحرارة). وبلفظ آخر: كلما نقص الاختلاف بينهما في درجة الحرارة حدث اعتدال في المناخ، لأن ارتفاع درجة الحرارة- إن حدث- سيكون حول القطب أكثر منه حول خط الاستواء.

إذن، فلا خوف من نعيق غراب التشاؤم، بل نتذكر ما ورد عن لا ينطق عن الهوى ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً»، ونتذكر واجب شكر الله؛ بأن نستعين بنعمته على فعل ما يرضيه لا ما يغضبه؛ من الإسراف في الاستهلاك بل وفي تشييد المساجد، فضلاً عن معابد الوثنية سواء نُسبت إلى البوذية أو النصرانية أو الإسلام، بل وفي زخرفة المصاحف.

وصلّى الله وسلم على محمد وعلى آل محمد وصحبه ومتّبعي سنته.



رأي آخر

في نعمة الله بالرخاء أو نقمته

الرخاء مثل الفقر - وأمثالهما من أقدار الخالق - قد يكون نعمة وقد يكون نقمة، وإن رآه المخلوق غير ذلك؛ قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥-١٧]. عرف هذا سليمان عليه السلام عندما أعطاه الله مُلْكًا لا ينبغي لأحد من بعده؛ فسخر الله له الريح تجري بأمره رخاء وعاصفة، وسخر له من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه، وعلمه منطق الطير، وآتاه من كل شيء، قال الله تعالى عنه: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]، بل عدّ ابن القيم رحمه الله إخراج آدم عليه السلام من الجنة متضمناً نعمة من الله عليه - استحقتها بأوبته إليه -؛ لذة العودة إلى الجنة بعد مكابدة الحرمان منها، وكبد الحياة على الأرض.

يكون الرخاء نعمة إذا استعان به الإنسان على طاعة الله، ولم يخرج به عن فطرة الله التي فطره عليها في الدين والدنيا. ويتحول إلى نقمة إذا اشتغل به عن طاعة مولاه، فاستمر الكسل عن السعي والعمل الصالح لدينه ودنياه بخدمة نفسه، وأخيه، وأمه، ودينه، وطاعة من ولاه الله أمره.

وكما يغلب على الكثرة أن تكون مع الضلال: ﴿وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]؛ يغلب على الغنى والترف أن يقود إلى الطغيان: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦، ٧]، ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]، ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا

مُجْرِمِينَ ﴿مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦].

وكثير من الشعوب الغنية في العالم - خلال المائة سنة الأخيرة - وقعت في حبالل الرخاء وعواقبه: فَقَدْ الحافز للعمل، والكسل، والسمنة، ومختلف أمراض كثرة الأكل ونعومتها، وقلة الحركة (جسمية ونفسية، دينية ودنيوية).

وأبرز مثال حي على مقدمات الترف ونتائجه: جزيرة (ناورو) في المحيط الهادي. ولذلك رأيت تقديم ملخص - للعبرة - عن تقرير نشرته مجلة (ريدز دايجست) العالمية عدد مايو ١٩٩٧م، يقارن بين ماضي الجزيرة وحاضرها ومستقبلها كما يُتوقع لها.

(ناورو) جزيرة من جزر المحيط الهادي في منتصف المسافة بين (هاواي) و(استراليا) صغيرة المساحة، قليلة عدد السكان، اكتشفها - قبل قرنين - قائد سفينة إنكليزية لصيد الحيتان، وسمّاها: (الجزيرة اللطيفة)، كان رزقها يأتيها رغداً، لاكتفائها بما حباها الله من نبات وثمار، وطيور وأسماك، وأيدٍ عاملة. ومنذ مائة عام تبين أنها من أغنى المناطق في العالم بأجود أنواع الفوسفات.

حصلت على الاستقلال عام ١٩٦٨، وقررت تأميم الفوسفات. وفجأة اكتشف أهلها حياة الكسل والاستهلاك الداخلي، والاستيراد والاستقدام الخارجي؛ فوفد إلى الجزيرة ما يقرب من نصف عدد السكان من العمال والسائقين والخدم الأجانب يكفون الأهالي مؤونة الحركة.

وكغيرهم لم يكتفوا بذلك؛ فامتلات المطابخ بأفران الميكرويف وأجهزة الطبخ والتنظيف الأوتوماتيكية، وضائق الغرف بأجهزة الهاتف والتلفزيون والكمبيوتر العابثة وآلات الرياضة الصناعية المهجورة، وضائق ساحات المنازل بالسيارات، فتعطلت الأيدي عن العمل، والأرجل عن المشي، وتعطلت القلوب

عن الفكر المفيد في مستقبل الدنيا والآخرة، وتعطلت الهمم عن التنافس والتعاون في مجالات البر والتقوى والإحسان.

وبتغير نوع التغذية وكمياتها، وبفقد حوافز الحركة ظهرت أمراض الترف: ٩٠٪ من السكان يعانون من السمنة المفرطة، زاد عدد مرضى القلب وضغط الدم مرتين، وعانى المواطنون من ثاني أعلى معدل لمرض السكر في العالم: ٥٠٪ ممن هم فوق ٥٠ سنة، و ٣٠٪ ممن هم بين ٢٥ و ٥٠ سنة.

وبعد عشرين سنة من الصرف بلا حساب، والتنافس على الإسراف، بدأ دخل الفوسفات يتناقص وأوشكت البيضة الذهبية على الفناء.

واليوم تواجه الجزيرة مستقبلاً موحشاً: دمرت عمليات استخراج الفوسفات أربعة أخماس مساحة الجزيرة، وهلكت الحياة الفطرية، وأساء من ذلك لم يعد الأهالي صالحين إلا للأعمال المكتبية: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ [العنكبوت: ٢٠].

والحق أن الإسراف في الاستهلاك معصية لله يشترك فيها الجميع: العالم والأمي، والكبير والصغير، والذكر والأنثى، والراعي والرعية. وكذلك يشترك الجميع - إلا من رحم الله - في السعي لاستجلاب المصلحة الخاصة على حساب المصلحة العامة، وتحول الإدارات الحكومية إلى مؤسسات للضمان الاجتماعي، وتحول الجامعات ومعاهد التعليم المتخصصة إلى مفارخ لفقس الموظفين الذين يزيد عددهم عن الحاجة، وبالتالي يعوق الأداء الصالح للمسئولية العلمية والعملية.

ومع أن هذا الوصف ينطبق على معظم الجماعات - المجتمعات - غير الصناعية بخاصة؛ فإن الإسراف - الذي لا يحبه الله - ليس من المنكرات في برامج الدعاة إلى دين الله على بصيرة، فضلاً عما من دونهم من المصلحين، بل إن وسائل

الإعلام الخاصة والعامة - ومن بينها ما يوصف بالإسلامية - تنافس الدول الصناعية المنتجة في الدعاية التجارية إلى الاستهلاك، بل يتفق الصغير والكبير على أن الدعاية التجارية في التلفزيون أقدر على اجتذاب بصر المشاهد وقلبه من بقية البرامج: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ [آل عمران: ١٤]. مع أن نشاطنا الأكبر ليس في الانتاج بل في استهلاك ما ينتجه من نسميهم: الأعداء.

وللإقلاع عن معصية الله بالإسراف الذي لا يحبه، لابد للمسلم أن يحذر من الانشغال بحفظ كتاب ربه وتجويد تلاوته - فضلاً عن المعاصي والمباحات - عن تدبره وفقهه والعمل به، ليكون مرجعه الأول في كل أمور حياته، في كل زمان ومكان، وفي كل حال. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ (٢٦) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

ونستغفر الله ونتوب إليه فإن أكثرنا أقرب إلى التبذير والإسراف - وبخاصة في المال العام - منا إلى العدل والإحسان، وأوضح دليل على ذلك: أن أحد من اتتمنتهم دولة مسلمة على ثروة البلاد، قام قبل عشرين عاماً على أبرز منابر الإعلام في البلاد يستحث الأمة على زيادة الإنفاق في مقابل زيادة الدخل، ولم يقف صوت واحد في وجه هذا المنكر - شرعاً وعقلاً - بل تسابق الأغلبية من الناس حسب استطاعتهم في الاستجابة لدعوة الشرّ والسفّه والفساد. والأغلبية دائماً في جانب الضلال إلا أن يشاء الله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وصلّى الله وسلّم على محمد وآله وصحبه ومتّبعي سنته.



آيرلندا تضرب مثلاً

في بداية العقد السابع من القرن العشرين كان اقتصاد آيرلندا يُحتضر، وكان أمام الأيرلنديين في سنّ العمل طريقان: ركوب السفينة إلى إنكلترا، أو ركوب الطائرة إلى أمريكا، حيث يوجد السابقون من المهاجرين الأيرلنديين.

يقول (كفن ولن) مدير جامعة نوتردام - مركز دُبلن: كان الشعور العام أنه لم يبق لآيرلندا إلا أن تُطفئ المصابيح وتُغلق الأبواب ثم الرحيل، فقد توقفت البلاد عن الحركة. وهذا ما كان يحدث تقريباً؛ فقد هاجر أكثر من خمس السكان في العقد الثامن وحده، وتركوا آيرلندا في ركودها الاقتصادي والإضرابات والتضخم؛ بل في هاوية اليأس من الإصلاح.

وبعد مرور عشر سنوات، صارت آيرلندا مركزاً عالمياً للصناعة الخفيفة ذات التقنية العالية، واليوم يقدر معدل نموها الاقتصادي بـ ٢٥, ٧٪؛ أعلى من جميع معدلات النمو الاقتصادي في أوروبا، ومن أسرع معدلات النمو الاقتصادي ارتفاعاً في العالم، وانخفض معدل التضخم إلى ٢٪، وتدنى معدل البطالة إلى أدنى حدّ وصله منذ عشرين سنة، وارتفع مستوى المعيشة في آيرلندا إلى مماثلة إنكلترا جارتها (العظمى) وحاكمتها القديمة، وصارت الثانية في العالم بعد أمريكا في تصدير برامج الكمبيوتر وحدها، واختارتها مئات الشركات الأمريكية مركزاً لها في أوروبا.

وأهم نتيجة إنسانية، ودليل عملي على التحول إلى الأفضل: عودة عشرات الألوف من المهاجرين الأيرلنديين إلى ديارهم وأهلهم حيث يمكن لهم الجمع بين النجاح المادي والروابط العائلية الأيرلندية المشهورة بالمرح وحبّ الحياة والبعد عن

تعقيد التقاليد .

ولكن ، كيف تحولت آيرلندا - في سنوات قليلة - من الركود الاقتصادي إلى النمو ، ومن الفشل إلى النجاح ، ومن هجرة الأموال والأنفس والعقول منها إلى العودة إليها؟

كان وصول آيرلندا إلى هوة الأزمة الاقتصادية التي لا يظهر لها قرار ، نقمة ، ولكن النقمة دائماً تخفي نعمة لا يراها إلا من يبحث عنها ويسعى إليها ويجرؤ على استغلالها رغم العقبات التي جلبت النقمة .

لم يحتج الإصلاح إلى (سوبرمان) ، ولا إلى خبرة أو مهارة مستوردة في الإدارة والاقتصاد ، ولا إلى انتظار معجزة أو كرامة أو خارق عادة ، بل إلى :

- ١- إدراك الرعاة والرعية أن الأزمة وصلت إلى حد لا يجوز إهماله .
- ٢- جرأة الإدارات الحكومية على إحداث التغيير على حساب المصالح الفردية .
- ٣- تحمّل الأمة - على كل مستوى - صعوبات التغيير دون اللجوء إلى جنون المظاهرات والإضرابات باسم الديمقراطية وحرية التعبير .
- ٤- خفض مستوى الإنفاق العام بتخلي الدولة عن التدليل الشعبي في النواحي الجمالية والفنية والرياضية والاجتماعية ونحوها .
- ٥- إلغاء أربعين ألف وظيفة حكومية لا ضرورة لها (عدد السكان ٤ ملايين) ، وإغما وجدت لخدمة الموظف وإعاشته ولو على حساب الأداء الوظيفي .
- ٦- إلغاء البدلات والإضافات على الرواتب .
- ٧- خفض عدد الوزارات وتعويضها بالإدارات والمؤسسات عند الحاجة .

٨- تخلي الدولة عن كل خدمة لا تعم - ولا يضطر إليها - كل أفراد الأمة ، وتركها لنظرية العرض والطلب والاستثمار الخاص .

٩- التركيز في التعليم - بعد العام - على المواد المهنية والتطبيقية - والصناعية بخاصة - أما المواد النظرية فقد وفرتها وسائل الإعلام والاتصالات والنشر بطريقة أكثر جاذبية وبأقل جهد ومال .

وصلّى الله وسلم على محمد وآله وصحبه ومتّبعي سنته .



رأي في الديمقراطية

أ- معظم النظريات الإدارية والسياسية تبدو صالحة قبل اختبارها بالعمل، ووراءها في غالب الأحوال رغبة في الإصلاح، كما شهد الله لشرّ خلقه بأنهم: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الاعراف: ٣٠]، وأنهم: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]. ثم يظهر النقص بالتمحيص والاختبار، قال الله تعالى عن كتابه الكريم: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ب- ونظرية الديمقراطية - ومعناها: حكم الشعب بالشعب - عندما اختبرت بالعمل أول مرة - في اليونان قبل ٢٥٠٠ سنة - لم تكن غير محاولة فكرية سياسية لإصلاح الولاية لا علاقة لها بعبادة الله الحق، ولا بعبادة أوثان الآلهة المفتراة، ولا بالقضاء بين الناس.

وبلغت الديمقراطية أوجها بتفتيت الإدارة المركزية اليونانية فيما سُمّي: (ولاية المدينة) أو (المدينة الولاية).

وبعد مائة عام من بداية التنفيذ اكتسحتها جيوش الإدارة المركزية المقدونية ثم الرومانية، ولم ينقذها بريق النظرية ولم تحمها نية الإصلاح.

ج- وقامت الديمقراطية - النظرية - على قاعدتين جذابتين:

١- إفتراض وجود حقوق طبيعية أساسية تولد مع الفرد ولا يجوز أن تُسلب منه إلا بالموت: حرية الفكر، وحرية القول، وحرية العمل، وحرية الدين.

ولا يصح أن تؤخذ هذه الحقوق على إطلاقها؛ فلو صح إطلاق هذه الحريات في اليونان الوثنية أو لورثتها من يفصل الدين عن الدولة - جدلاً - لما صلحت لمن

يعبد الله وفق شرعه ؛ فحريته مقيدة بنصوص الشريعة ، ثم بالمصلحة العامة فيما لا نص فيه .

٢- المساواة في الحقوق والواجبات ، وبخاصة في توزيع المال العام .

وهي فكرة خيالية أيضاً - بإطلاقها - مخالفة للفطرة التي فطر الله خلقه عليها : عدم التساوي في الخلق ولا الخلق ولا الرزق ولا العقل ولا الحال ولا المال ؛ قال الله تعالى : ﴿أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] ، وفي عهد الديمقراطية المثالية اليونانية - فضلاً عن غيرها - لم تتحقق المساواة ؛ فكان الشعب اليوناني طبقتين : سادة ، وعبداً مسخرين لخدمة السادة ، كما كانت في عهد فراعنة مصر .

د- وكان من خير ما حققته الديمقراطية في الماضي والحاضر وأقربه إلى فطرة الله لخلقه وشرعه لهم : الإقرار بأن المرء بريء حتى تثبت إدانته ، وهو ما يعزّ وجوده اليوم في البلاد المنتمية إلى الإسلام فضلاً عن غيرها ممن يرفض الدين والديمقراطية .

هـ- وجاءت الديمقراطية الحديثة إلى أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر (الكريكوري) فكان أبرز رمز في ثورة الشعب الفرنسي : سقوط (الباستيل) وتحرير سبعة من أعتنى المجرمين كانوا هم كل سجنائه . واقترفت دكتاتوريات الشعب الثائر أشنع جرائم الاعتداء والقتل والتشريد والتخويف والحقد والظلم في حق كلّ من يتهمه عضو واحد من أعضاء جمعية الأمن الشعبي - الظلم اللاحق - بالتعاون مع المتهمين بالظلم السابق ، دون تحقيق ولا محاكمة عادلة ، ولعل أصدق وأصوب ما روي عن إحدى ضحايا الثورة : (أيتها الحرية ، كم

باسمك تُقترف الآثام).

ثم تلتها الدكتاتورية الشعبية الغوغائية: دكتاتورية (دانتون) و(روبسبير) الفردية، واستمر الظلم وسفك الدماء عامين قبل استقرار النظام الفرنسي والأوروبي في شكله الدستوري الحاضر، المسمى في العربية الدّارجة: علمانياً. و- وكان من أسوأ ما أفرزته الديمقراطية المقلّدة والمقلّدة: الانتخاب العام والحزبية والإضرابات والمظاهرات.

فلم يحقق الانتخاب العام اختيار أفضل الولاة لسبيين:

١- أن القوة تختفي أو تظهر - دائماً - وراء أغلبية الأصوات؛ قوة الحزب أو قوة المال أو قوة الدعاية أو قوة الإرادة والمثابرة.

٢- أن أكثرية الناس - في كل زمان ومكان - هم أقلّهم علماً وعقلاً وإيماناً وخلُقاً؛ قال الخالق تعالى عن أكثر خلقه: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَصْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

وقال الله تعالى عن ذرية نوح وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

ولهذا كان أقرب طرق اختيار الولاة إلى شرع الله وفطرته: بيعة النخبة من أهل الحلّ والعقد - أهل العلم - وهم القلة في كل زمان ومكان، قال الخالق تعالى عن خلقه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، وعلى هذا اتفق علماء الأمة أن بيعة أهل الحلّ

والعقد لولي الأمر - مهما قل عددهم - ملزمة لبقية الأمة، وعلى هذا تمت البيعة للخلفاء الراشدين المهديين ومن سلك سبيلهم.

وتعدد الأحزاب الدينية والدنيوية مرض يفري جسد الأمة ودينها، ويذهب ريحها ويفرق شملها، لأن كل حزب يفرح بما لديه وبالتالي يمقت ما لدى غيره، قال الله الخالق تعالى وهو أعلم بخلقه: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

والإضرابات والمظاهرات وسائل - غير مشروعة ولا معقولة - لفرض رأي أو مصلحة فئة من الناس على حساب الآراء والمصالح العامة لبقية الأمة، ويزيد الأمر سوءاً - في البلاد المقلدة - بالإفساد في الأرض، وإتلاف الممتلكات الخاصة والعامة، وقتل النفس التي حرم الله بغير حق.

ز - وما تقدم يتبين أنه لا علاقة للديمقراطية بعقيدة معينة؛ فاليونان - حيث بدأت - تدين بالوثنية، وأوروبا وأمريكا - حيث توجد الآن - يدين أكثر أهلها بالنصرانية، وليست في البداية ولا في النهاية غير منهاج سياسي، وقد انتمت إليها الاشتراكية أو الشيوعية منهجاً اقتصادياً وهي لا تدين بدين صحيح ولا باطل.

ح - وأول محاولة لفرض رأي شعبي على ولاية الأمر في تاريخ الإسلام كانت ثورة الخوارج على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، بدعوى: عدم المساواة في توزيع الأموال والمناصب العامة، وهو ثالث الخلفاء الراشدين المهديين الأربعة الذين أمر نبي الله - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم - أمته باتباع سنتهم والعض عليها بالنواجذ، وشهد لهم بالجنة، ومات وهو عنهم راضٍ؛ بل مآزره رسول الله بشهادته له أنه: «رجل تستحي منه الملائكة»، وبين أنه

يموت شهيداً.

ولم يرضخ عثمان رضي الله عنه وأرضاه للغوغائية الشعبية؛ فلم يقبل التنازل عما ولاه الله عليه، وكان ذلك منه اتباعاً لشرع الله وهو أعلم به من جميع الثائرين عليه، وقد ورد في مسند الإمام أحمد رحمه الله أن النبي ﷺ قال لعثمان: «إن الله عسى أن يلبسك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تفعل».

وباء الثائرون عليه بإثم سفك دمه، وبأوا بمخالفة أمر رسول الله ﷺ ومبايعته الصحابة ألا ينازعوا الأمر أهله [متفق عليه]، وأمره أمته بالسمع والطاعة «وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك» [رواه مسلم]، وأمره أمته بالصلاة وراء أمرائهم برّهم وفاجرهم «إن أحسنوا فلکم ولهم، وإن أساءوا فلکم وعليهم»، وبالصلاة وراءهم نافلة وإن أخرجوا - أو أمانوا - الصلاة عن وقتها [مسلم].

وكانت النتيجة - كالعادة من قبل ومن بعد - إيقاظ الفتنة النائمة، وفتح أبواب من الشرّ والفساد لا تكاد تغلق إلا أن يشاء الله.

وصلّى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله وخاتم أنبيائه وآله وصحبه وأتباعه.



من يستفيد من التجارة الحرة؟

أجاب عن هذا السؤال كاتب أمريكي لا ينقصه المرح ولا الحكمة المعيشية . اسمه (أورورك) ، وجوابه : يستفيد الجميع . يقول في كتاب عنوانه : (كُلُوا الأغنياء)^(١) : السبب في غنى بقعة من العالم وفقر أخرى ليس الذكاء ؛ فلا يوجد على وجه الأرض أكثر غباوة من (هوليود) أغنى بقاع الأرض ، وفي روسيا التي يعدّ فيها الشطرنج رياضة شعبية يعيش أكثر المواطنين في مستوى الفقر . وليس وفرة الموارد الطبيعية ؛ فإن أفريقيا الفقيرة تملك كنوز الذهب واليورانيوم والنفط ، بينما تعدم هولندا الغنية كل ذلك إضافة إلى أن نصف مساحتها مغطاة بمياه البحر ، [ومثل هولندا ليس لسويسرا نصيب من الموارد الطبيعية ولا خفة الدم ، وأغلب أوروبا كذلك ، ولم تعد لأي منها مستعمرات تحميها الأساطيل] . السبب واضح لو فتح الناس أعينهم عليه : حرية التجارة ، وتعني الإقرار بحق الفرد في امتلاك ثمرة جهده والتصرف فيها بأي شكل يختاره دون تعدّ على حقوق الآخرين .

ولكن أكثر الناس لا يعقلون هذه الحقيقة ، ولا يقنعون ، ولا يعترفون بالحدود الفاصلة بين حقوقهم وحقوق غيرهم ؛ فمنهم من يسرق من المال الخاصّ أو العام ، ومن يغتصب أرض جاره أو يستمتع بمتاعه أو بشيء من حقوقه ، ومنهم من يخون أمانته في وظيفته أو وصايته على اليتيم أو القريب أو الولد أو الزوجة ، ومنهم من يضمر الحقد والحسد لأخيه الغني ويظهر المطالبة بتوزيع الثروة .

وقد رفض الاشتراكيون ودعاة المساواة الاقتصادية مبدأ حرية التجارة بحجة

(١) على نط الإشاعة الكاذبة عن ماري انطوانيت : (كلوا الكيك) عند فقد الخبز .

أنها لا تحقق العدل، وأنها السبب في وجود هوة سحيقة بين الأقلية الغنية وبين الأكثرية الفقيرة، وظنوا أن الطريق الصحيح لردم هذه الهوة أن تؤخذ أموال الأغنياء وتعطى الفقراء. ولكن التجربة أثبتت فشل هذه النظرية في الدول الاشتراكية الأصلية وفي الدول المقلدة لها؛ وكان الناتج في كل حال: اختناق العملية التجارية، وفقد حوافز العمل، بل فقد البضائع من الأسواق، لو تحقق الحلم بامتلاك الأكثرية لأموال الأقلية. وبهذا تتم تأميم الفقر.

المصيبة هي الفقر نفسه وليس الفرق بين غني وفقير، وعكس هذه الحقيقة ولّد مصائب أخرى لا تقل سوءاً: الحقد والحسد والخصام والاقتتال والظلم.

ومع أن هذا الرأي مبني على الفكر واستقراء التاريخ ونتائج الواقع الحاضر، فقد لفت الكاتب الانتباه إلى أن أهم الوصايا العشر في التوراة بعد النهي عن عبادة غير الله: النهي عن السرقة والاعتداء على الملكية الفردية وحسد الآخرين على ما يملكونه والطمع فيه.

والمسلم في غير حاجة إلى تحكيم الفكر أيّاً كان مصدره أو وصفه، ولا إلى تحكيم نصوص اختلط فيها الوحي والفكر فلا يمكن التمييز فيها بين الظن واليقين، وبين يديه وحي الله في كتابه وسنة رسوله وهو ما تعبده الله به وحده، لا يحياه ولا يهديه غيره، ولا يقبل منه غيره:

(١) ذكر الله فيما حرم على عباده من البشر بعد الشرك بالله وعقوق الوالدين: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾، وجاء بعد هذه الآية من سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا

السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿[الأنعام: ١٥١، ١٥٢]، وتكرر الأمر بترتيبه في سورة الإسراء .

(٢) وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨] .

(٣) ولم يخلق الله عباده من البشر متساوين في خلقهم ولا أخلاقهم ولا أرزاقهم ، في أجسامهم ولا عقولهم ، في تدينهم ولا في دنياهم ، وافتعال المساواة بينهم - في الرزق خاصة - محاولة للخروج عن سنة الله في خلقه مصيرها البوار : قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخًا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢] ، فكثرة المال وترف العيش وزينة الدنيا لا تصلح مقياساً شرعياً ولا عقلياً للخير والفضل والسعادة ؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٣) وَلِيُوتِيَهُمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكُونُونَ (٣٤) وَزُخْرَفًا﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥] .

وعلاج الفقر لا يتحقق بنظرية خيالية عن توزيع الثروة ، ولا ضرورة لتحديد الملكية أو تقييدها بغير ما شرع الله ، وإنما يتحقق بسعي الفقير لكسب الرزق الحلال وطلب التوفيق والبركة من الله .

وصلّى الله وسلّم على محمد وآله وصحبه ومُتَّبِعِي سُنَّتِهِ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
الحكم بما أنزل الله فرض عين على كل مسلم	٦
الولاء والبراء الشرعي والحركي (١)	٩
الولاء والبراء الشرعي والحركي (٢)	١٢
الدعوة إلى الله بالموعظة اليقينية لا بالقصص الظني	١٧
الدعوة إلى الله بين اليسر والعسر	٢٤
حكم تعدد الجماعات والأحزاب في الإسلام	٢٨
مناظرة أهل الكتاب	٣٢
الإعجاز العلمي للقرآن	٣٥
المعروف المنكر والمنكر المعروف	٣٩
حقيقة المحبة الشرعية	٤٦
القول على الله بغير علم	٥٢
إنما المساجد لذكر الله وحده	٥٦
الجهاد الوهمي	٥٩
لزوم السنة والجماعة والسمع والطاعة	٦٥
الخلافة في الأرض	٦٩
رأي آخر في خطبة الجمعة	٧٣
زيادات على الشرع	٧٩
شرر التكفير والهجرة والثورة من فكر سيد قطب	٨٢

أسطورة (وامعتصماه)	٨٧
التقرب إلى الله بمعصيته	٩١
أرض شهاب الدين	٩٦
من بيني الحضارة؟ (١)	٩٧
من بيني الحضارة؟ (٢)	١٠٠
المشاحة في الاصطلاح	١٠٣
التراث والآثار	١٠٨
الآثار الدينية والوثنية	١١١
الأقدار خير من التوقعات	١١٦
معذرة! فالحياة حلوة	١٢٠
وارتفاع الحرارة نعمة	١٢٤
نعمة الله بالرخاء أو نقمته	١٢٧
أيرلندا تضرب مثلاً	١٣١
رأي في الديمقراطية	١٣٤
من يستفيد من التجارة الحرة؟	١٣٩